وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

محاضرات في مقياس الأدب الجزائري

مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر،تخصص :أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد: الدكتور علاوة كوسة

الموسم الجامعي:2018-2019م

مقدمـــــــــــــــــــة :

إنّ الحديثَ عن الأدب الجزائري ، هو حديثٌ عن منتَج أدبيّ زاخر شهدتْه الساحةُ الأدبية والثقافية منذ قرون مضت، وأحاطته ظروفٌ ثقافية ،اجتماعيةٌ وسياسية كثيرة ، تنازعت أطرافَه من حيث الكتابةُ والانتشار ،ومن حيث الفنّياتُ والمضامين ، وقد نبغ في خضم هذا المشهد الأدبي الجزائري الحديث، أعلامٌ

وأسماء عديدة ، وخلُدت نصوصٌ ومتون كثيرة، حفظت لهذا الوطن مآثرَه ، وكثيرا من تاريخه ، بل وصنعت تفاصيلَ كثيرة من هذا التاريخ الجزائري الحديث ، من خلال ما حملته من رسائل والتزمت به من قضايا وصورته من أحداث ، بشكل فني يليق بهذا التاريخ وهذا الوطن ، ويعدّ الأدب الجزائري – فعلا – أدبا غنيا من حيث فنياته ومضامينه ، ومن حيث التزامه بالقضايا الوطنية والإنسانية الكبرى ، كاشفا عن وعي عميق وتطور حثيث وطرح سامٍ ، لدى الأدباء الجزائريين عبر مختلف الفترات و الحقب التي مرّ بها هذا الأدب الجزائري.

نظرا لأهمية الإحاطة بعوالم ومحطات أدبنا الجزائري بالنسبة إلينا كطلبة وباحثين في الجامعة الجزائرية ، فقد اشتغلت على إعداد سلسلة محاضرات في مقياس **'الأدب الجزائري'** ،موجهة إلى طلبة **'السنة الثانية ـماستر'** ، تخصص **'أدب عربي حديث ومعاصر'** ، وذلك وفق المفردات المقررة والمبرمجة ، وقد جاءت سلسة على هذا الترتيب:

-المحاضرة الأولى:الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر.

المحاضرة الثانية: عوامل النهضة الأدبية في مطلع القرن العشرين.

- المحاضرة الثالثة :دور الصحافة في النهضة الأدبية(الشعرية).

- المحاضرة الرابعة :مدخل إلى اتجاهات الشعر الجزائري.

- المحاضرة الخامسة :الشعر الإصلاحي الديني الجزائري.

- المحاضرة السادسة : الشعر الثوري.

- المحاضرة السابعة :الشعر التجديدي.

- المحاضرة الثامنة :الفنون النثرية الجزائرية الحديثة.

- المحاضرة التاسعة :فن الرحلة/فن الخطابة/فن المقالة/فن الرسالة.

المحاضرة العاشرة :فن القصـــــــــــــــــــــــــة.

- المحاضرة الحادية عشرة : فن المسرحيـــــــــــــــــــــة.

- المحاضرة الثانية عشرة :النص النثري الجزائري والاتجاه الوطني ..

- المحاضرة الثالثة عشرة :إرهاصات الرواية الجزائرية.

- المحاضرة الرابعة عشرة :النص النثري الجزائري المكتوب بالفرنسية.

لقد اجتهدت ما استطعت ، في أن أحضّر هذه المحاضرات وفق منهجية مبسطة ومدروسة ، وذلك كي تكون في متناول طلبتنا الأعزاء في مرحلة الماستر ، معتمدا على مجموعة كبيرة من الكتب المتخصصة جدا في الأدب الجزائري ،دراسةً ونقدا ،في مختلف الفنون النثرية والشعرية للأدب الجزائري ،رغبةً مني في إعداد عمل جاد يكون ذا إحاطة بعوالم الأدب الجزائري :نصوصا وأعلاما عبْر كامل مراحله ، ويكون ذا إفادة للطلبة والباحثين المتخصصين في الأدب الجزائري. راجيا أن تكون هذه المحاضرات إضافة حسنة لسلسلة المجهودات التي يقوم بها الزملاء في المركز الجامعي ، من اجل أن نقدم الأفضل دوما للجامعة الجزائرية.

المحاضرة الأولى .

الحياة الثقافية والأدبية في القرن التاسع عشر

إنّ الحديث عن الحياة الثقافية والأدبية في القرن التاسع عشر، هو محاولة منا للإحاطة بالظروف والسياقات التي أحاطت بالمنتج الأدبي الجزائري الحديث في تلك الحقب الزمنية الجديرة بالاهتمام والمتابعة والتفحص والتعمق ، لأنها حقب ذوات سياقات سياسية واجتماعية وثقافية متداخلة ومشحونة بالصراع والنزاع والحراك على كل الجبهات المذكورة ، ومن معرفة محمولات تلك الحقب الزمنية يمكننا أن نقارب الأدب الجزائري الحديث نصوصا وأعلاما بكل مرجعياته وفنياته ، ورسائله الجمالية والموضوعاتية .

كانت هذا البلد العزيز (الجزائر) في العقود الأولى من القرن التاسع عشر في حمى الحكم العثماني ، قبل الاحتلال الفرنسي الغاشم عام 1830 م، ويهمنا أن نتعرف على الجو الثقافي السائد تلك الفترة ، فلقد "كانت قبل الاحتلال الفرنسي الكتاتيبُ والمساجد والزوايا منتشرة في جميع أنحاء البلاد ، يتلقى النشء فيها ثقافته العربية الإسلامية .فلايجهل الاستعمار أنّ العلم سيف قاطع.فإذا تسلح به الجزائري أمكنه أن يقاومه.فسعى حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية.فشغله الشاغل هو إفناء العنصر الإسلامي بالتفقير وتجهيل مابقي منه ، وماهي إلا فترة حتى أصبحت البلاد فارغة من العلم ، إلا أنه في سنة 1883 أخذ يفتح أبوابَ المدارس في وجه أبناء الجزائر لكن التعليم كان فرنسيا بحتا.فكيف لا والجزائر أصبحت عندهم قطعة من فرنسا ولغتها الفرنسية ، ولم يكن القصد من تعليم الجزائريين الاستجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم والعرفان وإنما تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى يسهل ابتلاعهم وإدماجهم ، أماااللغة العربية فكانت في المدارس الثانوية اختيارية كأنها لغة أجنبية في بلادها"**1**

تواصلت السياسة الفرنسية المقيتة في تهديم بنيات الثقافة الأصيلة للجزائريين ،بسبلها الخاصة الهدامة ، واقتراح بدائل تخدم مخططاتها المستقبلية، حيث إنه"منذ وطئ الفرنسيون الأرض الجزائرية أخذوا يخربون القيم الروحية هناك ،فصدّوا الشعب الجزائري عن الثقافة العربية بجعل حواجز بينه وبين إخوانه العرب شرقا وغربا ،وفرضوا ثقافتهم حتى يقتلوا اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائهم في الجزائر لأهمية اللغة بين مقومات القومية ،فقد نجحوا في نشر اللسان الفرنسي إذ اتصل الشعب بأدبهم من شعر ونثر وقصة ولكنهم لم يقدروا على أن يميتوا اللغة العربية التي ظلت حية تدعو أهلها إلى مواصلة الكفاح والذود عن الكيان"**2**

إن استهداف المستعمر لثقافتنا كانت له أهدافه المسطرة بدهاء ومكر ،إذْ " استهدفوا بذلك الاحتلال تجريد الشعب الجزائري من قدراته المادية والمعنوية كعقيدة وثقافة لغة وتراثا عمرانا وحضارة"3

1- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2006. ص370-371

2-محمد الطمار: المرجع نفسه،ص387.

3- محمد بن سمينة:في الأدب الجزائري الحديث،مطبعة الكاهنة.الجزائر 2003،ص 05.

لانتردد لحظة في تسمية تلك السياسات الحاقدة على ثقافتنا الجزائرية الأصيلة بالإبادة الحقيقية لمكونات وعناصر الهوية الجزائرية منذ آلاف السنين ، حيث "كانت ثقافة الجزائر من قبل إسلامية عربية وكان لهذه الثقافة كيانها وعناصرها المستمدة من الدين والعلم والتقاليد القومية والاجتماعية ،وكان لها أيضا مراكز ومؤسسات شعبية منها المدارس، وهي بمستوى المدارس الابتدائية ،والزوايا وهي المراكز الدينية التي تعدّ الطلاب للالتحاق بالجامعات الإسلامية ، وأهم تلك الجامعات: الأزهر بمصر والزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس ، وقد حاول الاستعمار طمس هذه الثقافة وتبديل شخصيتها كما حاول غزو عقول الجزائريين بثقافته ،وهي دخيلة عليهم (...)فأوجد إما فراغا ثقافيا هائلا في صفوف عامة الشعب، أو اضطرابا شتت صفوف المتعلمين "4

إنّ من أبشع الجرائم الثقافية التي ارتكبها المستعمر في حق شعب بأكمله وأمة ذات هوية أنه عمد إلى حرق موروث ثقافي غزير بطرق شتى ، و"لم يرحم الاحتلال خزائن الثقافة فنهب جنودُه الكثيرَ من المخطوطات العربية القيمة وأتلف بعضها"5

من الجدير أيضا أن نتوقف عند رد فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية الهدامة للثقافة الأصيلة لهذا الشعب ،لأنه من غير الممكن أن يستسلم شعب بأكمله لمخططات المستعمر ويفقد هويته بجرة قلم وجرح رشاش،حيث صمد الجزائريون وبدت عليهم الرغبة والتصميم على التمسك بهويته وثقافته الأصيلة ، فلم يكن تطبيق مخططات الهدم الاستعماري لثقافتنا سهلا مريحا، حيث"لاقت محاولات الفرنسة عقبات متعددة في حقول الثقافة والتعليم أهمها الواقع الثقافي الذي اتصلت جذوره بالتراث الإسلامي وضمن بقاءَ اللغة العربية لغة القرآن والعلوم الدينية ولغة الشيوخ والعلماء**"6**

مثلما ظل اللسان العربي مبينا ومتداولا وجامعا للأمة الجزائرية معاضدا للسان الأمازيغي الأصيل، فقد ظل الجزائريون متمسكين بكل مقومات هويتهم وعناصرها التي تجمعهم على مجابهة العدو، وبرغم الاجتياح الثقافي الفرنسي الهدام "لكن الأمة الجزائرية لم تبق مكتوفة الأيدي أمام هذه الوضعية ، بل أخذت تبني المدارس العربية الإسلامية الحرة بجهودها الضئيلة .وشيدت منها مايزيد على 170 مدرسة وذلك تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهذه المدارس أمكنها أن تكوّن نخبة عربية إسلامية من الفتيان و الفتيات ثم أسست هذه الجمعية معهد"عبد الحميد بن باديس"التكميلي منه يوجه الطلبة إلى المدارس والمعاهد العليا بتونس والشرق العربي.وجهزت لهذا المعهد دار التلميذ وهي مؤسسة داخلية فيها نحو ألف طالب المأوى والطعام"7

4- نور سلمان،الأدب الجزائري، في رحاب الرفض والتحرر،دار الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر 2009،ص40.

5-نور سلمان:المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- نور سلمان: المرجع نفسه ، ص91.

7-محمد الطمار:مرجع سابق،ص371.

لايكاد ينكر متتبعٌ لحركة الصدّ التي واجه بها الجزائريون المستعمر في محاولة هدمه لثقافتنا ، لايكاد ينكر أن الوازع الديني كان ذا فضل كبير في الحفاظ على ثقافتنا الجزائرية ، سواء أكان نصا قرآنيا حفظ اللسان والشرائعَ ،أم كمعطى اجتماعي ثقافي تربوي أصيل ظل عروة وثقى يتمسك بها الشعب الجزائري

المستهدف، إذْ"بالدين استطاع الجزائري أن يحقق ذاته وبه استطاع أن يقف في وجه حملات التغريب والمسخ والتدمير التي حاولت أن تقضي على شخصيته العربية الإسلامية"**8**

كان للشعب الجزائري الرافض للإبادة الثقافية الفرنسية لهوية الجزائريين طرقٌ ووسائلُ مختلفة للرفض والمقاومة الثقافية المضادة ، حيث "أنشأ المواطنون المثقفون خلال الاحتلال جمعيات وأندية وندوات في مختلف مناطق الجزائر وقد ساهمت كلها في بث جو من التعاون والمشاركة بين الجزائريين كما نشرت مناخا من الثقافة والوعي بواسطة أعمال الخير والإحسان"9**.**

الحركة الأدبية في القرن التاسع عشر:

حين استعرضنا الظروف والسياقات المحيطة بالمنتج الأدبي الجزائري الحديث ، لم نجد فيها مايشجع على بروز قامات أدبية ولا العثور على متون أدبية راقية ، لأن سياسة الإبادة الثقافية واضحة لدى المستعمر ،الذي جاء ليهلك الحرث الثقافي الأدبي الذي كانت علية الساحة الأدبية في العهد العثماني ، فلقد"سررنا لخروج الأدب من نكسته في القرن الحادي عشر الهجري وتمنينا أن يسلك طريقا تؤدي به إلى ماعرفه من الازدهار من قبل ،لكنه - ويالللأسف - رجع إلى نكسته على الرغم من أنه ظل مسيطرا على موقفه مستميتا في حفظ كيانه فلانستطيع أن نعثر على أديب يمثل حقا الحركة الأدبية بعد وفاة المقري حتى القرن الثالث عشر الهجري حيث برزت شخصية فذة تتمثل في الأمير عبد القادر"10

يرى النقاد بأنّ" أصول الحداثة في الأدب الجزائري ترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حين كان ارتباط الحركة الأدبية في المغرب العربي بالمشرق العربي قائما ، وقد بدأت النهضة في الوطن العربي عموما باستلهام التراث العربي المشترك ،في عصور ازدهاره الأولى ، منطلقة من إحياء أمهات الكتب هذا التراث والاستفادة من عناصر القوة فيه ، إلى جانب مابدأت تسهم به حركة الترجمة والنقل والطباعة والنشر والانفتاح على الثقافة الأوربية عموما"11

8-عبد الله الركيبي:الشعر الديني الحديث في الجزائر،مجلة الأصالة،نوفمبر-ديسمبر1972 الجزائر، ص178

9- نور سلمان، مرجع سابق، ص114

10- محمد الطمار ، مرجع سابق ،ص372

11- عمر بن قينة ،في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1995،ص15.

لايختلف النقاد والدارسون للأدب الجزائري عبر كل الأعصر ، بأن الأمير عبد القادر كان العلامةَ الأدبية الفارقة في المشهد الأدبي الجزائري الحديث ، وأنه كان الأديب الذي حرّك مجاري الإبداع الأدبي شعرا ونثرا وقد ظلت لعقود راكدة لاتعكس العصور الذهبية المتوهجة إبداعا وألقا في تاريخ الأدب الجزائري القديم والحديث ، "وإن كان من رواد الحركة الأدبية الحديثة في الشرق العربي ،محمود سامي البارودي(1838-1904م) فإن الأمير عبد القادر الجزائري يعتبر من روادها في المغرب العربي عموما ،وفي الجزائر خصوصا،فهما معا يمثلان مدرسة الإحياء والتجديد ،وقد اشتركا في صفات البطولة في الشعر وفي الحرب"11

هناك ظروف كثيرة ساعدت في نبوغ الأمير الشاعر ، ثقافية وعائلية وحربية، "فالأمير عبد القادر من جيل النهضة الحديثة في الوطن العربي ، مسك بزعامة السيف وزعامة الشعر في وطنه ، ولد في قرية القيطنة غرب مدينة معسكر حيث نشا ودرس على والده الشيخ"محيي الدين" الذي أجبرته السلطات العثمانية على الإقامة في وهران سنة 1821م ،حيث صحبه ابنه عبد القادر الذي بدأت تتسع معارفه بالدراسة على علماء المدينة...ثم قام بفريضة الحج سنة 1825م صحبة والده الذي سمحت له السلطات العثمانية بذلك ،فكان ذلك مناسبة للتعرف على الأوضاع في عدة بلدان عربية خلال سنتين:تونس ن مصر ، العراق ، سوريا ثم ليبيا، في طريق العودة عبر برقة وطرابلس حين كان الرجوع إلى قرية القيطنة في 1828م"12

كل هذه السفريات والرحلات زادته ثقافة وعلما وخبرة بالحياة وتجربة عمقت تجحاربه الشعرية لاحقا ليبقى علامة شعرية وعسكرية فارقة في تاريخ الدولة الجزائرية التي يعدّ أحد روّادها المؤسسين لها حديثا ،"وقد ضمن عبد القادر الخلود في ذاكرة التاريخ بجهاده ومواقفه الإنسانية وبأعماله وآثاره الفكرية الدينية والأدبية فله في النوع الأول بالخصوص كتابه"المواقف" في التصوف ،وله في النوع الثاني رسائله المختلفة وخاصة ديوانه الشعري الذي حمل عنوان"ديوان الأمير عبد القادر "**13**

لم تكن الظروف المحيطة بالموهبة الأدبية المتوقدة للأمير قادرة على لجم فروسيته الأدبية والحربية ،حيث" شداعبد القادر في الجزائر أثناء حياته إبان قيادته الكفاح والمقاومة في فترة كانت الثقافة العربية والحركة الأدبية في الجزائر ذات حيوية ، كما كان التعليم منتشرا والعربية سليمة من العجمة والضعف ، وهو الوضع الذي بدا يتراجع بمجيء الاحتلال ، حيث بدأت تشيع الأمية بتوطد الاحتلال ، ويضعف المستوى الأدبي بانزواء رجال الأدب أو صمتهم وهجرة بعضهم ، خاصة بعد نفي الأمير من الجزائر ن لهذا

11- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث،ص15.

12- عمر بن قينة: المرجع نفسه ، ص21.

13- عمر بن قينة:المرجع نفسه ،ص22.

تبقى فترته فترة حداثة أدبية ،كما يبقى شعره ممثلا لهذه الفترة وإلى جانبه أصوات شعرية في مقدمتها صديقه الأديب القاضي(محمد الشاذلي القسنطيني)(1807-1877)"14

- الأمير زعيمًا للحركة الأدبية:

رغم وجود أصوات أدبية شعرية متزامنة مع الصوت الشعري "الأميري"إلا أن "زعامة الحركة الأدبية عموما تبقى في هذه الفترة أيضا للأمير عبد القادر (1807-1883م) خصوصا بشعره الذي اختلفت ألوانه

ن ثوريات وإخوانيات وغزليات ، فخرا وتصوفا وتأملا وصفاء ، وهي ألوان اختلفت حجما أو كثافة ومستويات فنية"15

كما خلّف الأمير مؤلفات عميقة ذات أهمية بالغة في الاستشهاد على عمق التجربة الحداثية في أدبنا الجزائر المعاصر مقارنة بنظائره العربية الأخرى، ومن تجاربه وأعماله" كتاب في التصوف والوعظ والإرشاد سماه المواقف وصدره بمقامة أوشبه مقامة كما قال (وقد أشرت إلى بعض ماذكرت في شبه مقامة لي) وهذه المقامة تختلف عما سبقها من حيث الموضوع والهدف ، فإنها صوفية أدبية يقصد منها إبراز المعنى الميتافيزيقي للمعرفة،معرفة الحقيقة الإلهية ،تلك المعشوقة في حين أن الأخرى نقدية أدبية تصور لنا كثيرا من أخلاق المجتمع وتعين على التمرن على الكتابة والإنشاء كالبديعية والحريرية أو تعطينا دروسا أخلاقية من وراء التسلية والتربية كالوهرانية"16، وخلّف مذكراته وكتاب"المقراض الحاد،وكتاب"ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" وكتاب المواقف،والديوان.

قبل أن نتعمق قليلا في التجربة الشعرية لرائد النهضة الأدبية والحداثة الشعرية الجزائرية ن لابأس بالتفاتة سريعة للنثر الأميري ممثلةً في كتاباته المقامية، وهذا نموذج من مقامة له**:**"إن صدقت لهجتُك وهانت عليك مهجتُك وأردت الوصولَ إلى ذلك الجنابْ وقطع تلك الجبال والبحار والهضابْ فاركب نسرا أو غرابْ ،وأنه لاينال ماقصدت إلا من كان على همّة قوى العزمة"17

يجدر بنا أن نتوقف عند محطات فنية وموضوعاتية بارزة تضمنها ديوان الأمير عبد القادر ،عارضين لنماذج شعرية من أغراض مختلفة، إذْ زخر الديوان بأجمل القصائد التي تمثل الشعرية الجزائرية والعربية عموما،"وقد حفل الديوان بأهم مايعرف نقديا بأغراض الشعر العربي: قصائد ومقطوعات منها شعر المناسبات المختلفة ، وشعر الإخوانيات في حربه أو في أسره ،أو في غيرهما ، وأشعاره في التصوف إلى جانب موضوعين أصيلين جدا في الشعر العربي ، هما الفخر والغزل"18

15- عمر بن قينة،مرجع سابق،ص21. 14- عمر بن قينة :المرجع نفسه:ص15-16.

16- محمد الطمار كمرجع سابق، ص374

17- الأمير عبد القادر،المواقف،ج1،ص12

18-عمر بن قينة، المرجع السابق،ص23.

- الفخر في شعر الأمير عبد القادر:

عرف الأميرُ عبد القادر بفخره الدائم بنفسه الشاعرة الفارسة العاشقة للحياة وعنفوان الشباب ، فقال مفتخرا بحسن تفكيره وسمو أخلاقه:

ورثْنا سؤددا للعُرْب يبقى

وما تبْقى السماءُ ولاالجبالُ

فبالجدّ القديم علت قريشُ

ومنّا فوق ذا طابت فعالُ

سلوا تخبرْكم عنّا فرنسا

ويَصْدق إنْ حكت منها المقالُ

وقال يفخر بقيادة الجيش:

سوانا ليس بالمقصود لمّا

ينادي المستغيثُ ألا تعالوا

ولفظُ الناس ليس له مسمّى

سوانا والمنى منّا ينالُ

لنا الفخر العميمُ بكل عصرٍ

ومصرٍ..هل بهذا مايُقال؟

كما كان يفخر ببطولته في معركة"خنق النطاح":

ألمْ ترَ في خنق النطاح نطاحَنا

غداة التقينا كمْ شجاعٍ لهم لَوى؟

وكم هامةٍ ذاك النهارَ قددتُها

بحدّ حسامى والقنا طعنُه شوى

وأشقرُ تحتي كلّمتْه رماحُهم

ثمانٍ ولم يشكُ الجوى بل ومماالتوى

بيوم قضى نحبا أخي فارتقى إلى

جنانٍ له فيها نبيُّ الرضا أوى

فما ارتدّ من وقْع السهام عنانُه

إلى أنْ أتاه الفوزُ راغم مَن عوى

ويومَ قضى تحتي جوادُ برمية

وبي أحدقوا لولا أولو البأس والقوى

يتقاطع الحسُّ الفخري الأميري بمفاخر عنترة وتفاخر المتنبي الطافح عبر الشعرية العربية جمعاء، فقد حلّ هذان الشاعران العربيان في جبّة شعرية أميرية ، واستطاع الأمير أن يتمثلهما بحس شعري

معاصر ، وأن يغترف من أسلوبيتهما الفخرية ليحدّثها بأدواته الفنية المعاصرة ، منتجا نصوصا شعرية تحيي في الفخر تقاليدَه وأبجدياتِه ، حيث "نلمس في فخره أثر عنترة والمتنبي ،تغنى مثلهما بالشجاعة والبأس والبطش بالعدو ولاغرو من ذلك ن فإنه عرف المعارك ومارسها ممارسة الجندي والقائد فقال:

تسائلني أمُّ البنين وإنّها

لَأعلم مَن تحت السماء بأحوالي

ألم تعلمي يا ربّةَ الخِدر أنّني

أَجلّي همومَ القوم في يوم تجوالي

وأغشى مضيقَ الموت لامُتهيّبا

وأحمي نساءَ الحيّ في يوم تهْوالِ

أميرٌ إذا كان جيشي مقْبلا

وموقدُ نار الحرب إذ لم يكن لها صالي

إذ مالقيت الخيلَ إني لأوّل

وإن جال أصحابي فإني لهم تالِ

أدافع عنهم مايخافون مِن ردى

فيشكر كلّ الخلق من حسن أفعالي

وأورد راياتِ الطعان صحيحةً

وأصدرها بالرمي تمثالَ غربالِ

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي

وبي يحتمي جيشي وتحرس أبطالي

وبي تتّقى يومَ الطّعان فوارسُ

تخالينَهم في الحرب أمثالَ أشبالِ

إذا مااشتكت خيلي الجراحَ تحمْحما

أقول لها صبرا كصبري وإجمالي

وأبذل يومَ الروع نفسا كريمةً

على أنها في السلم أغلى من الغالي

وعني سلي جيشَ الفرنسيس تَعلمي

بأنّ منا‌ياهم بسيفي وعسّالي

سلي الليلَ عنّي كم شققت أديمَه

على ضامر الجنبين معتدلُ عالِ

سلي البيدَ عني والمفاوزَ والرّبى

وسهلا وحزنا كم طويت بترحالي

فماهمّتي إلا مقارعة العدا

وهزمي أبطالا شدادا بأبطالي

فلاتهزئي بي واعلمي أني الذي

أُهاب ولو أصبحت تحت الثرى بالي

يقول الأميرُ عبد القادر في وصف الطبيعة:

ياعاذرا لامرئ قدْ هام في الحضرِ

وعاذلا لمحبّ البدوِ والقفرِ

لا تذممنّ بيوتا خفّ محملُها

وتمدحنّ بيوتَ الطينِ والحَجرِ

لوكنتَ تعْلم ما في البدو تعذرني

لكن جهلتَ وكمْ في الجهل من ضررِ

أو كنتَ أصبحت في الصحراء مرتقيا

بساطَ رمل به الحصباءُ كالدّررِ

أو جلت في روضة قد راق منظرُها

بكلّ لونٍ جميلٍ شيّقٍ عطرِ

تستنشقنّ نسيما طاب منتَشقا

يزيد في الروح لمْ يمرُر على قذرِ

وممّا قال في الغزل:

أودّ بأن أرى ظبيَ الصحاري

وأرقب طيفَه والليلُ سارِ

يتيه بدلّه ويصول عمدا

عني بالجمال فلا يداري

ويسلبني الحياةَ إذا تبدّى

بوجه في الإضاءة كالنّهارِ

ويقول متغزلا أيضا:

فباللّحظ لا الموسى تخدّش وجنَه

فيا ويلتا منه ويا طول حسرتي

ومن أجمل وأعمق غزليّاته مناجيا بحس حزين:

أقاسي الحبَّ من قاسي الفؤادِ

وأرعاه ولايرعى ودادي

وأبكيها فتضحك ملءَ فيها

وأسهر وهْي في طيب الرّقاد

وأبذل مهجتي في لثم فيها

فتمنعني وأرجع صاد

فما تنفك عنّي ذات عزّ

ومأأنفك في ذلي أنادي

ومن عجب تهاب الأسْدُ بطشي

ويمنعني غزالٌ عن مرادي

وله مِن شعر الغربة والحنين رائعتُه:

أقول لمحبوب تخلّف من بعدي

عليلا بأوجاع الفراق والبُعدِ

أما أنت حقا لو رأيت صبابتي

لهان عليك الأمرُ من شدّة الوجدِ

وإنّي - وحق الله- دائمُ لوعةٍ

ونارُ الجوى بيْن الجوانح في وقدِ

حنيني أنيني زفرتي ومضرّتي

دموعي خضوعي قد أبان الذي عندي

يستحقّ الأميرُ عبد القادر إمارةَ الشعر الجزائري والعربي الحديث بحقّ كما استحقّ إمارة الحرب ، فقد كان فارسا في الساحتين الأدبيةِ والحربية معا ، وكان مؤسسا للشعرية الجزائرية الأصيلة القوية فنيا ، مثلما كان مؤسسا للدولة الجزائرية الحديثة ، وكان ذا موهبة شعرية لامعة استمدت وهجَها الفني ومرجعياتِها الفكريةَ وقضاياها الجوهريةَ من تراث شعري زاخر امتصّته لتعيد صياغته بمقدرة كبيرة ،و تحدّثه وقد وسِع راهنَ الأميرِ وشعبِه ووطنه ، ويمكننا أن نقول بفخر وعزّ وطنيّ وحسّ نقدي موضوعيّ :إنّ الأمير عبد القادر كان عَلما شعريا رفع منسوبَ الجمالية في الشعرية الجزائرية والعربية ، معلنا ميلاد عهد أدبي جديد وحداثةٍ شعرية جارفة بعد ركود عمّر طويلا في المتون الشعرية الجزائرية، وعقبَ سباتٍ ثقافي أدبي طويل. وهناك أسماء أدبية أخرى عاصرت الأميرَ ومنها:

- حمدان بن عثمان خوجة (ت1840م):

لم يكن عصر الأمير عبد القادر خاليا من أسماء أدبية شعرية ، غير أنه كان ذا النصيب الأوفر في الحضور والتألق والذِّكر على ألسنة المتحدّثين في الحداثة الشعرية الجزائرية والعربية ، ومن معاصريه وأصدقائه المقربين ، نذكر الأديبَ حمدان بن عثمان خوجة الناثرُ الثائرُ المثقف في زمن لم يخفت فيه بريق النثر كما حدث مع الشعر ،إذْ إنّ" في النثر الخاص بهذه الفترة - وقد احتفظ برونقه-فتبرز أمامنا عدة أسماء مختلفة فكرا ومنهجا ،في مقدمة هذه الأسماء (حمدان بن عثمان خوجة)(1840-1773م) صاحب كتاب(المرآة) ، ذوالفكر النير والروح القومية المتوثبة"19

إنه الأديب ذو السيرة الأدبية النضالية العطرة ، ولد حمدان في الجزائر من أسرة ذات أملاك في منطقة متيجة ،درس على أبيه كما قام برحلات إلى اسطنبول وغيرها من الشرق العربي ،مثلما قضى سبع عشرة سنة في أوربا خاصة في فرنسا"20

19-عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث،ص16

20- المرجع نفسه ،ص16.

توفي حمدان خوجة باسطنبول عام1955،تاركا كتابا قيما عنوانه "المرآة"، "ويعتبر كتابه"المرآة" علامة مضيئة في الفكر الجزائري ،وشهادة حية عن شراسة صليبية وحقد استعماري ،عكست طموح الشرفاء الجزائريين الأباة إلى العزة والكرامة رفضا لكل أشكال الهيمنة والاحتلال ،وكما عبّر الكتّاب عن روح شخصية فكرية جزائرية فذة ،عبر بوضوح عما لحق الجزائر من أذى وويلات استعمارية مثلما عبر عن الحس الوطني والقومي بعمقه الديني(...)لذا يبقى كتاب"المرآة"أيضا أهم كتاب لهذا المفكر

الجزائري"حمدان خوجة"ذي الحسّ الوطني الفياض والرؤى القومية الموثبة ،بكل العمق الحضاري لهذا الانتماء القومي"21 ،ومن أعمال حمدان خوجة:"إلى جانب كتاب"المرآة"للكاتب حمدان خوجة، كتاب"إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء"والذي حققه محمد بن عبد الكريم نفي سلسلة ذخائر المغرب العربي،"وقد عكسا معا مواهبه السياسية والفكرية ،والأدبية ، كما عكسا ثقافته الدينية والقانونية ، والطبية وخبرته أيضا بالحياة وشؤونها وشجونها ،خاصة بفضل أسفاره المختلفة خارج الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ومقاومته الفكرية والسياسية ضد الاحتلال ، بعد أن جثم على الوطن كابوسا مزمنا"22 ، وكان حمدان ذا حس سياسي نضالي كما كان ذا حس أدبي فكري، ومن منطلقات تآليفه السابقة صار حاملا لقضية وطنية سياسية بعدها ،"وقد هيأته هذه التجربة لدوره السياسي حيث اجتاحت جحافل الاحتلال الفرنسي الجزائر ،فانطلق يطالب النظام الفرنسي باحترام المواثيق والعهود التي أعطوها في الاتفاق الذي استسلم بمقتضاه داي الجزائر في جويلية 1830"23

- محمد بن العنابي(1775-1851م)

هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين ،"وقد كتب الشعر كما كتب النثر وله فيه بالخصوص كتابه(السعي المحمود في نظام الجنود) وهو كتاب سياسي عسكري ، عن الحاكم والرعية وإعداد الجيش وحسن السياسة في إدارة شؤون الأمة بالعدل والإحسان ، كان يتولى منصب القضاء الحنفي في عهد الداي أحمد باشا كما تعاطى السياسة لنهوضه بسفارة للمغرب الأقصى "24-

ومن أهم شروط الحاكم حسب كتابه:

-إقامة العدل.

-إظهار شعائر الدين

21-عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث،ص17.

22- المرجع نفسه،ص18.

23- عمربن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعي ، الجزائر،1993 ،ص08.

24- عمر بن قينة: في الادب الجزائري الحديث ،ص19.

-نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف

-مراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين.

وبعد الاحتلال دخل في مواجهة مع المحتلين الذين انطلقوا يستولون على الشؤون الدينية ويحوّلون المساجد مستشفيات فأمر الجنرال الفرنسي كلوزيل رجال الدرك للقبض عليه فقادوه غلى السجن بدعوى عمله لإعادة الحكم الإسلامي للجزائر كما اضطُهدت أسرته وأهينت ثم نفي من الجزائر قبل نهاية 1831 محروما من مهلة كافية لبيع أملاكه فلم تتجاوز عشرين يوما فاتجه إلى مصر وأقام في الإسكندرية..حتى كانت وفاته سنة 1851م"25

-قدور بن رويلة(ت 1855م)

كاتب وشاعر ،"ولد في الجزائر العاصمة الحافلة قبل الاحتلال الفرنسي بالمثقفين والعلماء ، وبعد سقوط مدينة الجزائر في أيدي المحتلين فرّ إلى مليانة للالتحاق بجيش الأمير عبد القادر ثم اتخذه الأمير كاتبا له حتى سنة 1843م وهو التاريخ الذي وقع فيه أسيرا بين أيدي الفرنسيين في معركة "طاقين" ،قرب الشلالة"26 ، بعدها نفاه المستعمر بعيدا عن بلاده وبالضبط إلى المدينة المنورة و"من هناك أعاد اتصالاته الكتابية بالأمير عبد القادر وتساجلا شعرا حيث كتب ابن رويلة إلى الأمير يعلن شوقه ووفاءه له وإخلاصه في خدمته:

واحسرتي واضيعتي واخيبتي ... إن لم أكن بفداكمُ اتلقّبُ "27

ترك آثارا عديدة لعل أهمها "رسالته التشريعية المستوحاة من الشريعة الإسلامية كقانون عسكري ،جاءت في شكل كتاب بعنوان"وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ن ويليه ديوان العسكر المحمدي الغالب"28

استعرضنا المشهد الأدبي والثقافي على عهد الأمير عبد القادر ،الذي شكّل جوا أدبيا جديدا بعد طول ركود ، ولكن سرعان مانفته مواقفه وبطولاته وصموده ورفضه للمستعمر وللاستسلام معا ، فكان علينا تتبع مرحلة مابعد نفي الأمير، و"بانتهاء فترة الأمير عبد القادرو نفي رجال علم وأدب وهجرة بعضهم وانزواء بقية ، نزل ظلام دامس على الحركة الثقافية والفكرية والأدبية من صميمها الحركة التعليمية ، وقد اختفى الحس الوطني في الأدب كبطارية شحن ن وطاقة دفع، وتسرب اليأس إلى النفوس الكسيرة

25- عمربن قينة: في الأدب الجزائري الحديث،،ص18

26- عمربن قينة :المرجع نفسه ،ص 19.

27-عمر بن قينة:المرجع نفسه، ص20

28-عمر بن قينة المرجع نفسه،ص21.

،وهي ترى دمار الاحتلال يمتد إلى كل شيء ولايسلم منه شيء ، فيشيع الفقر والجهل ويصادر وسائل المعرفة والتعليم في الأوقاف والزوايا وغيرها،فضعف المستوى الأدبي في النهاية وشاعت فيه الركاكة وغزته العجمة في التعبير والتركيب ، وسرعان ماتحول جانب كبير في شكله هذا إلى بوق يخدم الاستعمار الفرنسي ويشيد بفضائله الحضارية وشعاراته الثورية البراقة المضللة كما تمثله كتابات مختلفة ربما من أحسن مايمثلها نصان في النثر هما رحلتان للسيد ين (سليمان بن صيام)و(أحمد بن قاد)،عنوان رحلة الأول"الرحلة الصيامية" وعنوان رحلة الثاني"الرحلة القادية" في إطار سياسة الدعاية الفرنسية

والعمل على كسب بعض علماء الدين والثقافة لخدمة أغراض الاحتلال في تطويع الجزائريين وإخضاعهم في النهاية للأمر الواقع"29

- الريادة الروائية الجزائرية:"حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمصطفى بن إبراهيم.

إذا عدنا إلى المنتج السردي الجزائري في القرن التاسع عشر فإننا سنتوقف عند عمل روائي ريادي جزائريا وعربيا، رغم أنف تاريخ الرواية العربية الذي يجعل من ريادة الرواية العربيةِ مصريةً رغم أن السبق للرواية الجزائرية بأكثر من ستين عاما ،وهي عمل سردي قصصي طويل ، سيكتسب شرعيته الروائية ولو بأثر رجعي ، رغم كل السياقات المأساوية المحيطة والمشكلة للأجواء الثقافية والأدبية في الجزائر آنذاك ،"غير أن هذا الوضع المأساوي نفسه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وأدبيا خصوصا،هو الذي أنتج عملا أدبيا ربما كان رائدا للاحق وإن كان رديئا بشكله الروائي العام هذا العمل هو قصة طويلة بعنوان"حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمؤلفها مصطفى بن إبراهيم المعروف بالأمير مصطفى من شخصيات مدينة الجزائر وقد كان جده مصطفى باشا دايا على الجزائر(1795-1805م) وقضى اغتيالا كما كان أبوه إبراهيم بن مصطفى صديقا للسيد حمدان خوجة أما المؤلف فقد ولد سنة1806م وبذر أمواله لإعانة الفقراء وللهو أيضا وأتى على البقية اللصوص حين سطوا على منزله في القصبة سنة 1885م"30

تصورهذه القصة شخصية البطل وهو الكاتب نفسه الذي فقد مجده السياسي ووجاهته الاجتماعية ومكانته الاقتصادية وقد وقع في حب واحدة تدعى"زهرة الأنس" ذات ثراء مات أبوها فبقيت تعيش في حزن شديد أرادت أن ترفه عن نفسها كما أراد البطل نفس الشيء فكانت الصدفة التي جعلتهما يسقطان في حب جنوني ذهبا فيه إلى أقصى الحدود"31 وللتمثيل سنورد مقطعا من الرواية :"قضيا الأيام العاصفة بالغرام المحموم يعبان من المتع تارة في بيته وتارة في بيتها يتناجيان ويسكران"

29- عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث، ص33

30- عمر بن قينة:المرجع نفسه، ص35

31- عمر بن قينة:المرجع نفسه، ص36

لقد توقف عمر بن قينة نقديا عند محطات من هذا العمل الروائي الرائد مبديا فيه ملاحظات أجملها في قوله:"إن الظلال العامة لهذا العمل الأدبي هي ظلال القصة الشعبية تنهض بالبطولة فيها شخصية معروفة في ظرف خاص ومحيط معلوم غدا فيه وجود الاحتلال الفرنسي أمرا واقعا ن وكان يمكن اعتبارها رواية فنية لطولها ومسارها القصصي ونمو الأحداث فيها لولا ضعف التقنية

القصصية وضعف الحبكة وترهل الصياغة وقد شاعت فيها العامية الجزائرية وهي من العناصر التي أخلّت بالعمل وحرمته من أن يجمل اسم رواية في فترة متقدمة حين كتابته سنة 1849م"32

ولكن هذا العمل"مرحلة أولى في ميلاد الرواية العربية الحديثة...وإذا كان ذلك ممكنا تكون الرواية العربية الحديثة قد ولدت في الجزائر في منتصف القرن التاسع عشر قبل ميلادها بأكثر من ستين سنة الذي مايزال يؤرخ له برواية"زينب" للدكتور محمد حسين هيكل سنة 1914م"33

- انتعاش ثقافيّ أدبي أواخرَ القرن19:

شهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر انتعاشا ثقافيا وأدبيا ، يعكس الصمود الثقافي والتحدي الهوياتي والتألق الأدبي للجزائريين برغم كل الصعاب والمشاق والإبادات الثقافية الاستعمارية لثقافتنا

وهويتنا، فبعد أن"مثلت الانتكاسة السياسية ثم الثقافية والفكرية والأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيبوبة شعر فيها الإنسان الجزائري بالغبن والانكسار المادي والمعنوي وهو ماشمل الكتاب والأدباء الذين هم بطبيعتهم أكثر إحساسا بالمعاناة الوطنية بكل امتداداتها تحت الاحتلال النصراني الظالم المتعجرف ،فامتد ذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر ،حين بدأ يسرى في المجتمع انتعاش واعد باستئناف النهوض بعد الانكسار بفعل عوامل مختلفة داخلية وخارجية، فمن العوامل الخارجية إدراك الجزائريين الذين كانوا يترددون على أوربا وفرنسا خصوصا الفروق الظالمة بين سياسة فرنسا في وطنها وسياستها في الجزائر،كما لعبت الصلة بالمشرق العربي دورا بارزا بفضل الصحف والنشريات التي كانت تسرب إلى التراب الوطني فتدعو إلى اليقظة والنهوض عربيا ومن بينها صحيفة "المؤيد" المصرية التي يقول عنها"سعد الدين بن أبي شنب":إنها ابتداء من سنة 1307ه(1889م)أخذت تدعو "إلى اليقظة ولإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب وحب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري فكانت الصحف والمجلات تأتيهم(الجزائريين) مباشرة من مصر أو تصل إليهم عن طريق غير مباشر أي طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة وأقل تشديدا من طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع باستقلاله أو مابين حقائب الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة بعد أداء مناسك الحج أو العمرة ، وكان كل عدد من تلك

32- عمر بن قينة:المرجع نفسه، ص36 ـ

33-عمربن قينة ، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1986، ص145

النشرات يزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي ، فمن آثار تلك الروابط الروحية والعقلية بين الشرق والغرب في ذلك الزمان أن أحدثت منذ مطلع القرن الرابع عشر حركة علمية أدبية تنتمي إلى النهضة الشرقية من ناحية وتقتدي بها ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث"34

خلاصـــــــــــــــة:

- لم تكن الظروف الثقافية والأدبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر تبعث على التفاؤل أبدا ،نظرا للظروف والسياقات السياسية والاجتماعية التي خلفتها سياسة فرنسا الاستعمارية.

-استهدف المستعمر الفرنسي بعد احتلاله الجزائر مباشرة الثقافة الجزائرية وعناصرَ الهوية الوطنية ، محاولة منه في إبادة ثقافية واسعة للجزائريين وقد كانوا على قدر محترم من الثقافة والحضارة على عهد العثمانيين ، وحينما فتحت فرنسا أبواب المدارس أمام الجزائريين فرضت عليهم اللغة الفرنسية وجعلت اللغة العربية اختيارية ، وذلك ليس حبا في الجزائريين إنما تحضيرا لزجهم في مخططاتها الإدماجية ،اعتقادا منها بأن الجزائر مقاطعة فرنسية وان اللغة الفرنسية أولى من اللغة العربية.

- لايمكن أن نتجاهل الحملة المضادة التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين ضد الحملة التغريبية الفرنسية للشعب الجزائري ، وذلك بفتح جمعية العلماء المسلمين لأكثر من 170 مدرسة خاصة تحفظ للجزائريين هويتهم ولغتهم ،ودينهم من خلال برامجها المنتقاة بإحكام ودراية وكان للجزائريين وسائلهم وسبلهم في الرفض والتصدي للمخططات الفرنسية الهدامة ، ومنها تأسيس جمعيات ونوادٍ وحركات مضادة للحركات التغريبية الفرنسية.

- لم تكن الحركة الأدبية الجزائرية في القرن التاسع عشر راقية متقدمة كما كانت في عهود خلت ،لولا الطفرة الأدبية المشهودة التي أحدثها الأمير الشاعر عبد القادر الجزائري ،والذي يعد علامة فارقة في المشهد الأدبي الجزائري ،وأحد رواد الحداثة الأدبية جزائريا وعربيا ، وذلك لما تميز به منتجه الشعري من تنويع فني واشتغال صوفي جمالي كبير ، وإحاطة بمواضيع مختلفة من خلال أغراض شعرية أمكن للأمير بإعادة إحيائها وبثها أنفاسا معاصرة باتكائه على التراث بعيون معاصرة.

- استعادت الحركة الثقافية والأدبية الجزائرية حيويتها ونشاطها أواخر القرن التاسع عشر(بعد ركود مشهود تلا نفي الأمير وكثيرٍ من المثقفين الجزائريين) ، ومن أسباب هذا النشاط اطلاع المثقفين والأدباء الجزائريين على ثقافات عربية وغربية متعددة من خلال رحلاتهم وسفرياتهم ومتابعاتهم من خلال بعض المنشورات والكتابات عبر الصحافة والمجلات الواردة خفيةً عبر الحدود أو مع الحجاج والمعتمرين الجزائريين بعد عودتهم.

34- سعد الدين بن أبي شنب ، النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر،مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر، العدد الأول،.الجزائر، 1964، ص41

المحاضرة الثانية:

عوامل النهضة الأدبية في القرن العشرين

إن الحديث عن النهضة الأدبية الجزائرية في القرن العشرين ، بعرج بنا على عوالم النهضة الأدبية العربية عموما ، ونقصد بها النهضة في المشرق العربي ، لأن هناك ارتباطا وثيقا بينهما في جوانب عديدة ومتداخلة ، ويرى كثير من الدارسين والنقاد أن "النهضة الأدبية في المشرق تعود إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر"34

ولكن يختلف الباحثون في تحديد تاريخ النهضة الأدبية الجزائرية بدقة وارتكازا على معطيات واضحة لهذا التحديد ، وذهبوا في ذلك مذاهب وفرقا واتجاهات ،" أما الاتجاه الأول فيميل أصحابه إلى تحديد بداية النهضة الأدبية بالفترة الممتدة بين أواخر القرن التاسع عشر وبين الحرب العالمية الأولى ويأتي في مقدمة هؤلاء الدكتور سعد الله في كتابه(دراسات في الأدب الجزائري الحديث ص28)35

أما الفريق الثاني فيبدو أنه يرجع هذه النهضة إلى الفترة الواقعة مابين مطلع القرن العشرين وبداية العقد الثالث منه كما فعل ذلك محمد الطمار في كتابه(الأدب الجزائري ص285،كما فعل الدكتور صالح خرفي في كتابيه(شعراء من الجزائر ص28)و(شعر المقاومة ص58 ،أما في بحثه(الشعر الجزائري)فيبدأ دراسته فيه للشعر الجزائري الحديث من سنة 1930"36 ، أما الفريق الثالث-وجل أصحابه من رواد النهضة فيكاد يجمع رجاله على أن النهضة الأدبية في الجزائر إنما يمكن تحديدها بالعشرينات من القرن العشرين"37 ، ومن هؤلاءالشيخ الهادي السنوسي ،ومبارك الميلي ،.

عوامل النهضة الأدبية الجزائرية في القرن العشرين:

لقد أسهمت كثير من العوالم المختلفة في هذه النهضة الادبية والثقافية الجزائرية ، وطنية وتربوية وإعلامية ،ووفق بواعث مختلفة منها: الوطني والقومي، لذلك سنتتبع في هذا الشأن تلك العوامل والمؤثرات بشيء من التفصيل.

34- عمر الدسوقي :في الأدب الحديث.ج2 ص399

35- محمد بن سمينة :مرجع سابق ص84

36- المرجع نفسه،ص85

37- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

أولا- العامل الوطني: الحركة الوطنية والتعليم والزوايا والصحافة.

يرى بعض الدارسين ومنهك محمد بن سمينة أن هناك عوامل عديدة متنوعة قد كانت لها فاعليتها في بزوغ إشراقة فجر النهضة الفكرية والأدبية ،ويمكن ان تندرج تلك العوامل في مؤثرات ثلاثة هي: المؤثر الوطني ،والمؤثر القومي ،والمؤثر الأجنبي ،وكان المؤثر الوطني - وهو الأكثر فاعلية من غيره- قد انبثق عن الصراع الدائر بين الشعب الجزائري وبين المحتلين الفرنسيين ن دفاعا عن القيم الحضارية والمقومات الشخصية للامة ،وذودا عن الأرض المغتصبة والحقوق المسلوبة " 38

، فلقد لعبت الحركة الوطنية دورا فعالا في هذه النهضة وبتجليات شتى ،وكانت الحركة الوطنية بوجهيها الحضاري والسياسي قد أخذت مواقعها في الصدارة في حركة جهاد الأمة عن طريق النهوض والتحرر وكان لكل من هاتين الفصيلتين أساليبهما ووسائلهما التي تتماشى ومنهجها العام في الجهاد نحو تحقيق الغاية الوطنية الواحدة ، وهي استعادة السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال...وقد انطلقت هذه الحركة من هذه القناعات تعمل على حشد طاقات الأمة والسمو بها فوق مرحلة المطالبة بالحقوق إلى مرحلة النهوض بالواجبات ولم تلبث هذه الحركة ان ترجمت هذا الشعور غلى واقع ملموس فقامت بتوفير بعض الوسائل والآليات التي تتطلبها هذه العملية من أهمها بناء المساجد وتشييد المدارس وإنشاء المطابع وإصدار الصحف وتأسيس الجمعيات والنوادي" 39

1 : التعليم.

استهدفه المستعمر وكان يريد أن يحطم أركانه ن وعمل على ذلك جاهدا ، فشوه صورته ،على عكس صورته الأولى في الجزائر على عهد الدولة العثمانية ،"كان التعليم في الجزائر قبل احتلال الاستعمار الفرنسي لها منتشرا في مختلف أرجائها مدنا وقرى وأريافا وكانت تقوم به مؤسسات عديدة ، ومتنوعة:مساجد مدارس وزوايا وكتاتيب وكانت الأمة رعية وحكاما تجود بأموالها على هذه المؤسسات التعليمية...وكان المحتلون قد فزعتهم هذه الوضعية التعليمية الحسنة في الجزائر ورأوا أن ماينجم عنها من انتشار الوعي بين الأهالي ووقوفهم من خلالها على كنوز حضارتهم قد يكون خطرا على بقائهم طويلا في البلاد فدفعهم هذا الإحساس إلى الإسراع في تطبيق مخططهم الصليبي التغريبي مستهدفين من خلاله تجريد الشعب الجزائري من قيمه ومقوماته وقد توسلوا لذلك بإغلاق المؤسسات الدينية والتعليمية" 40 ،

كما كان المحتلون من جهة أخرى يعملون على نشر التعليم الأجنبي في بعض الأوساط وبخاصة في المدن الكبرى حيث كانوا ينفردون بخيرات البلاد الوفيرة وهذا التعليم الأجنبي مرسومة أهدافه

38- محمد بن سمينة:مرجع سابق،ص31

39-المرجع نفسه،الصفحة نفسها

40-المرجع نفسه، ص 33

لخدمة أغراضهم وكان قصارى ماترمي إليه برامجه احتواء أبناء الأهالي ضمن مخطط مدروس يرمي إلى إبقاء وطنهم تحت السيطرة الأجنبية"41، وقد تمسك الجزائريون بالعلم والتعليم رغم كل هذه المعارك الكبيرة لتحطيمه، وإن الشعب الجزائري ظل وفيا بالرغم من قلة الإمكانيات وكثرة الموانع- لتعاليم دينه ومقومات شخصيته وقيم حضارته وذلك عن طريق خدمة العلم ونشره في حدود مابين يديه من أدواته ووسائله: زوايا ومساجد ومدارس ومعاهد مما ساعده على المحافظة على البقية الباقية من ثقافته وتراثه"42

2 – الزوايا ودورها النهضوي:

لقد لعبت الزوايا دورا نهضويا لايستهان به عبر تاريخها في الجزائر ،و كانت هذه المؤسسات منتشرة في معظم نواحي الوطن في وهاد الصحراء وبين التلال وعلى رؤوس الجبال" 43، والزوايا نوعان: يكاد النوع الأول يقتصر على نشاطات العبادة من ذكر وأوراد وما إلى ذلك من الممارسات الصوفية ولايكاد يتجاوزها إلى غيرها من النشاطات التربوية والتعليمية ن وينسب هذا النوع من الزوايا إلى بعض الطرق الصوفية من مثل:التجانية والقادرية والرحمانية والشاذلية والدرقاوية...أما النوع الثاني من هذه الزوايا فيقوم – إلى جانب النشاط الديني التعبدي – بجهد محمود في خدمة العلم ونشره بين الخاصة والعامة ولعل من أبرز زوايا هذا النوع مساهمة في ميدان التعليم هذه المؤسسات:زاوية الهامل ببوسعادة ،وزاوية مازونة بمستغانم وزاوية الشيخ أحمد بن يوسف بمليانة وزاوية سيدي بالكبير بأدرار وزاوية بني وغليس ببجاية نوزاوية بن علي الشريف بآقبو ، وزاوية بلدة سيدي عقبة والزاوية العثمانية بطولقة..وغيرها " **44**

3- دور جمعية العلماء المسلمين العلمي الثقافي النهضوي:

إن المؤسسة الثقافية الأكثر تأثيرا على المجتمع الجزائري في نهضته الثقافية والأدبية والاجتماعية هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،"وتحسن الإشارة إلى أن الخطوة الرائدة على طريق نهضة التعليم العربي الحر في الجزائر إنما هي تلكم الخطوة التي خطاها ابن باديس في هذا الميدان بعكوفه على مشروعه التربوي الحضاري بمعقله الدعوي ومعهده العلمي(الجامع الأخضر) منذ عودته من رحلة الطلب بجامع الزيتونة بتونس1912.ثم بعد أدائه فريضة الحج ورجوعه من الحجاز بعد ذلك 1913 فشرع يومئذ ينشر العلم والمعرفة ويقاوم الجهل والجمود عن طريق دروس عامة وخاصة يلتقي فيها بجمهور الأمة وبناشئتها يربي ويعلم يهذب ويثقف يعظ ويرشد يوجه وينصح يبني النشء ويعدّه ليوم الغد يوم الثورة والتحرير والبناء والتعمير...وكان رئيس جمعية التربية والتعليم التي أشرفت

41-عمر بن سمينة: مرجع سابق،ص32

42-المرجع نفسه،ص33

43-أبو القاسم سعد الله.محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث.ص164

44- محمد بن سمينة:المرجع السابق،ص33.

على تأسيس أول مدرسة عصرية للتعليم العربي الحر بقسنطينة 1930 ، كما تولى بعد عام من هذا التاريخ رئاسة اكبر مؤسسة تربوية دعوية إصلاحية حضارية عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعتبر رسالة التربية والتكوين والتعليم والتهذيب" 45

أشهر مدارس الجمعية:46)

-مدرسة الإخاء للتربية والتعليم بسكرة1931

-مدرسة الحياة بجيجل1933

-مدرسة التهذيب بالميلية 1934

-مدرسة التربية والتعليم بباتنة 1937

- معهد ابن باديس بقسنطينة 1947 وهو المدرسة الثانوية العربية الوحيدة في الجزائر يومئذ.

-مدرسة شريفة الأعمال بالقصبة في العاصمة 1934

- المدرسة الصديقية بسلام باي بالعاصمة 1941

-المدرسة الإصلاحية بوهران 1935

-مدرسة دار الحديث بتلمسان 1937

-مدرسة التربية والتعليم بمستغانم 1944

- مدرسة التربية والتعليم بسيدي بلعباس 1945

45- محمد بن سمينة ص35-36

46-ينظر: محمد بن سمينة :المرجع نفسه، ص38-39

4- تأسيس المدارس الحرة (ثمرة الجهد الباديسي)

يرى الدارسون أن بعض الجهود الفردية قد استطاعت في وقت متزامن مع مرحلة المشروع الباديسي أن تفتح بعض المدارس في بعض الجهات من الوطن" **منها(47):**

-"المدرسة العربية الصديقية الحرة التي تاسست1913 بمدينة تبسة على يدي السيد ابن حمانة والأخوين عمر وبكير العنق ، وهي من أقدم هذا النوع من المدارس في الجزائر وكان الاحتلال قد أغلقها بعد فترة وجيزة"48"ورغم اختلاف النظرة ،فإنه يمكننا أن نقول إن الأدب الجزائري الحديث هو وليد العشرينيات من هذا القرن(ق20)"49

ونسجل هنا موقفا لسعد الله من النهضة الأدبية في الجزائر، قال في رده على الأديب رابح بونار المستبشر بالنهضة الأدبية في الجزائر:"أما قولك في النهضة الجزائرية إنها' قد اجتازت التوتر المذكور ثم اندفعت في ميداني النظم والنثر بين التقليد والابتكار...' فهو طفرة عاطفية قد تبعث على الارتياح في النفس على مصير الأدب في الجزائر ولكنها لاترضى الواقع المؤلم الذي يعيشه الفكر الجزائري في جميع مظاهره.وهل يمكن أن نعد تلك النفثات الشعرية او النثرية الصحفيه التي تظهر على(البصائر)- وهي المظهر الوحيد المعبر عن الأدب الجزائري- نفثات إبداع وإجادة وعبقرية؟ اللهم إلا إذا قصدنا مغالطة الواقع وخداع أنفسنا الظمأى إلى أدب جزائري ثائر خلاق... أو كنا من المتفائلين الذين يدفعون حرارة الشمس بالغربال كما يقول المثل" **50**

5- دور الصحافة:

لعبت الصلة بالمشرق العربي دورا بارزا بفضل الصحف والنشريات التي كانت تسرب إلى التراب الوطني فتدعو إلى اليقظة والنهوض عربيا ومن بينها صحيفة "المؤيد" المصرية التي يقول عنها"سعد الدين بن أبي شنب":إنها ابتداء من سنة 1307ه(1889م)أخذت تدعو "إلى اليقظة ولإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب وحب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري فكانت الصحف والمجلات تأتيهم(الجزائريين) مباشرة من مصر أو تصل إليهم عن طريق غير مباشر أي طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطاة وأقل تشديدا من طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع باستقلاله أو مابين حقائب

47- محمد بن سمينة : المرجع السابق، ص37

48 -أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي.ج3.ص242

49- أبو القاسم سعد الله،تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر،1982ص32

50- المرجع نفسه ،ص161

الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة بعد أداء مناسك الحج أو العمرة ، وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاهة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي ، فمن آثار تلك الروابط الروحية والعقلية بين الشرق

والغرب في ذلك الزمان أن أحدثت منذ مطلع القرن الرابع عشر حركة علمية أدبية تنتمي إلى النهضة الشرقية من ناحية وتقتدي بها ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث"**51** ، كما كان للصحف وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس والمغرب ماكان للبعثات التعليمية والرحلات من الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها وذلك من خلال ماكانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية في الجزائر وفتح صدرها لبعض الجزائريين لينشروا بعض أعمالهم ببعضها(العصر الجديد التقدم ، النهضة ، الزهرة ، الوزير ، الصباح ،وغيرها ن ومن بين من نشر بهذه الصحف من الجزائريين(عمر بن قدور.عمر راسم.ابن باديس.محمد العيد.حمزة بوكوشة.عبد الرحمن شيبان.الأخضر السائحي.." **52** ، وكانت "جريدة المنتقد لابن باديس أ صدرها بقسنطينة 1925، فكانت الفاتحة الميمونة في سجل حركة الإعلام الوطني والانطلاقة الرشيدة على درب النهضة العامة الفكرية والأدبية والاجتماعية ،فقد فتحت صدرها للأدباء واحتضنت أعمالهم فعرفت البلاد على صفحاتها ميلاد النهضة الأدبية"**53** ، ونورد في هذا الصدد قول ابن باديس في دور المنتقد أدبيا"الحقيقة التي يعلمها كل أحد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت"المنتقد"54

وشهدت الساحة الإعلامية وقتها ميلاد جريدة الإصلاح والأدب:"وكان الشيخ الطيب العقبي قد أصدر ببسكرة جريدته الإصلاح1927) فكان لها دورها المميز في خدمة الحركة الأدبية ، كما أصدر في السنة نفسها(السعيد الزاهري1956/1899) جريدة "البرق'فكان لها الأثر البارز في هذه النهضة الأدبية" **55** ، وكانت الإشراقة الإعلامية الكبرى هي ميلاد البصائر ، لما لها من دور فعال في نشر الأعمال الأدبية الجزائرية من مقالات وقصص وأشعار لذلك تكرر ذكرها لدى الباحثين والدارسين دوما يوم "أشرقت سماء الجزائر ذات يوم من ديسمبر1935 بنور المولود الجديد"البصائر" فكانت الصحيفة الرابعة للجمعية والثانية بعد الشهاب في قائمة كبرى الصحف الوطنية التي كانت لها اليد الطولى في رعاية الحركة الفكرية والأدبية ومواكبة مسيرتها نحو أهدافها المنشودة" 56

---

51 - سعد الدين بن أبي شنب،النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر،مجلة كلية الآداب.الجزائر العاصمة.1962.

52- محمد بن سمينة : مرجع سابقص56

53- محمد بن سمينة:ف المرجع نفسه ،ص14

54- الشهاب ج1 م11أفريل 1935

55- محمد بن سمينة :مرجع سابق ،ص42

56- المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

ومنها:

-جريدة الجزائر لعمر راسم(1959-1883)

- جريدة الفاروق لعمر بن قدور(1932-1886)

-جريدة النجاح لعبد الحفيظ الهاشمي(1895)

-جريدة الإقدام للأمير خالد.ظهرت بالعاصمة 1920

-جريدة صدى الصحراء لأحمد بن العابد العقبي

6- حركة التأليف والنشر:

لايقل تأثير انتشار حركة التأليف والنشر عن العوامل والمؤثرات الأخرى المسهمة في النهضة الأدبية الجزائرية وقد "كانت الجزائر قد عرفت الطباعة مع دخول جيش الاحتلال الفرنسي إلى أراضيها إلا أن نشاط هذه الصنعة بدأمقتصرا على خدمة أغراض الاحتلال في هذا الميدان ويمكن القول إن حضور الجزائريين في هذا الحقل كان بظهور اول مطبعة أهلية في الجزائر وهي المطبعة الثعالبية التي أسسها السيد قدور ردوسي بن مراد التركي(1973-1878) بالعاصمة 1885 ،...ويبرز أثر هذه المطبعة في حركة النهضة الفكرية والأدبية لكونها ليست فحسب مطبعة وغنما كانت في الوقت ذاته مكتبة تستورد الكتب والصحف من البلاد العربية الشقيقة وكانت من نحو بخر ناديا فكريا وأدبيا يلتقي على منبره الأدباء والعلماء من داخل الوطن ومن خارجه يتبادلون الرأي بينهم في القضايا الفكرية والسياسية والأدبية المطروحة في بلادهم وفي غيرها من البلاد العربية الإسلامية"57

ومن أهم المطابع عصرها نذكر:- مطبعة فونتانا: "أسسها بيار فونتانا بالعاصمة(1895) فعرفت باسمه ولايستبعد أن تكون غدارة الاحتلال من وراء تأسيسها وقد ساهمت هذه المطبعة في نشر عدد من المتون في اللغة والأدب"58 -مطابع الحركة الإصلاحية:(ينظر محمد بن سمينة ص46-47)

-المطبعة الإسلامية الجزائرية وكان قد أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة عام1925

57- محمد بن سمينة:مرجع سابق،ص46

58- المرجع نفسه، ص46.

-المطبعة الصحراوية:أسسها الشيخ العقبي ببسكرة في العشرينات

-المطبعة العربية:أسسها الشيخ أبو اليقظان بالجزائر العاصمة عام 1931

ومن أهم منشورات المطابع الإصلاحية :

-ديوان أبي اليقظان1931

-أعمال أحمد توفيق المدني

-حنبعل مسرحية1950

-بلال بن رباح مسرحية لمحمد العيد آل خليفة

-شروط النهضة لمالك بن نبي 1948

- تاريخ الجزائر لعبد الرحمن الجيلالي

- خواطر مجموعة لعبد المجيد الشافعي 1954

- أعمال أحمد رضا حوحو ومنها: صاحبة الوحي ،أدباء المظهر ،مع حمار الحكيم.

ثانيا :العامل القومي.

إنّ لصلة الجزائر بالأشقاء العرب جذورا قديمة ودعائم كثيرة ظلت تبني الوحدة العربية العظمى والحلم العربي المشترك ، "ظلت هذه الصلة العامة بين الجزائر وبين شقيقاتها بالمشرق وبالمغرب وطيدة فكانت القلوب تتعاطف في السراء وفي الضراء وكانت الأفكار تتلاقح في الشدة و في الرخاء وكانت الجهود تتضافر وتتعاون في معركة فك الأسر ودفع البلاء وكان يشد هذه الأواصر بين الأشقاء ويرفدها رغم العوائق والموانع الكثيرة"59 ،ويعزز قول ممتاز ابن باديس هذا وجاء فيه "إن الروابط عديدة بين الجزائر وتونس بل بين المغرب العربي بصفة عامة طرابلس وتونس والجزائر والمغرب الأقصى كالروابط العلمية والسياسية التي ذاقت بها هذه الأقطار حلاوة الاستقلال تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك"60

59- محمد بن سمينة:المرجع السابق،ص55

60- ابن باديس.الشهاب.ج5.م13.جويلية 1937

- البعثات العلمية إلى الخارج:

حاول المستعمر مسخ الهوية ووأد الثقافة الجزائرية وتجهيل الشعب ، لكن الشعب تمسك بهويته وأوجد سبلا ووسائل للتصدي والرفض ،واستطاع بعض"المثقفين أن ينفلتوا من تلك الحواجز فلجأت فئة منهم إلى تونس وأخرى إلى مصر فتعاطوا كلهم الأدب وحملوا عند قفولهم إلى بلادهم ماشاء الله من التراث الأدبي العربي وأمكن للآثار الأدبية من شعراء الشرق أن تدخل إلى الجزائر ، ثم قامت الحرب العالمية الأولى ،ومالانتهت حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة الموارد قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة. فأخذ الأدب ينهض من عثرته متثاقلا وتكونت نخبة لابأس بها من الشعراء اتجهوا إلى أنفسهم يبحثون عنها وإلى الزمان يحملونه مايقاسون من شقاء ومايلاقونه من حرمان"61 ، أما البعثات التعليمية فتأتي على رأسها تلك التي تتوجه إلى جامع الزيتونة بتونس وإلى جامع القرويين بالمغرب هذا الذي كان الطلبة الجزائريون يلتحقون به في أول الأمر أفرادا ثم كانت أول بعثة تعليمية منهم إليه 1913 فكان لهذين المعهدين العلميين مكانة مميزة في قلوب طلاب العلم من الجزائريين...ومن بين هؤلاء العديد من رجالات النهضة من أمثال: ابن باديس إبراهيم بن محمد طفيش ، أبو اليقظان ، محمد العيد ،محمد خير الدين ، السعيد الزاهري ، رمضان حمود ،حمزة بوكوشة ، أحمد حماني ، أحمد بن ذياب..."62

مراحل النهضة الأدبية في الجزائر:

يقسم الدارسون النهضة الأدبية في الجزائر غلى مراحل أهمها :"المرحلة الاولى (مرحلة الإرهاص): ويمكن أن تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ويمثلها كوكبة من الكتاب والشعراء المحافظين من أمثال(عبد القادر المجاوي ،ابن الخوجة ،المولود بن الموهوب ،عمر بن قدور ن عمر راسم ، سعد الدين الخمار ن محمد بن عبد الرحمن الديسي ، عاشور بن محمد الخنقي وغيرهم". وتمثلكت كتاباتهم في خطب وعظية وأفكار إصلاحية أو قصائد تبعث على العزيمة والتحدي واليقظة، أما المرحلة الثانية في (مرحلة النهضة):وتغطي المساحة الزمنية الممتدة مابين الحربين(من مطلع العشرينات إلى 1945) ،وقد شهدت الفترة انبعاث النهضة الأدبية بظهور الصحافة وانتشار التعليم وإحياء التراث وتوثيق الصلة بالنهضة الفكرية والأدبية في المشرق ،وكان ذلك على أيدي الرعيل الاول من الأدباء الرواد من أمثال(ابن باديس العقبي والإبراهيمي ،التبسي ، مالك بن نبي ،اللقاني ، الميلي ، أبو اليقظان ، العمودي ، محمد العيد ،رمضان حمود ، صالح خبشاش ، مفدي زكرياء ن جلول البدوي ، محمد بن العابد الجلالي،بوكوشة السنوسي ،الزاهري وغيرهم"64

61- محمد الطمار :مرجع سابق، ص38

62- محمد بن سمينة:مرجع سابق،ص56

63- المرجع نغسه،ص86

64- المرجع نفسه:ص90

أنموذج شعري للمرحلة:

يقول محمد العيد آل خليفة حاثّا الشباب إلى صناعة المجد :(محمد العيد بن محمد علي بن خليفة،ولد عام 1904 بعين البيضاء ،عاش ببسكرة وتخرج من الزيتونة،له كتابات صحفية ،سجن مرات ،ترك أشعارا كثيرة وتوفي يوم 31جويلية 1979م)

ياحماة البلاد يا فتية الضاد ..

ترى هل لكم من الرأي مغني؟

سار جيرانكم مع العصر شوطا

ووقفتم مابين وهم ووهنِ

تحت شتى القوى تقاسون منها

ماتقاسون من أسى وتجني

أين منكم مهابة وانتصاف

أم سكنتم إلى احتقار وغبن

لاتقولوا هان الجدود فهنّا

ساء نشء له بهم سوء ظنّ

في تلمسان في بجاية في تيهر

ت في القلعة ازدهى كل فنّ

يوم كانت مهاجر الشرق والغرب

مثابا كمعهد وكحصن

وعليها من الملوك ذوي العز

ة والبأس كل سهران فطنِ

دعّموا البر دعموا البحير بالأع

لام من منشآت مدن وسفنِ

ومشوا في مناكب الأرض صيدا

بين جرّارة ملائك جنّ

-المرحلة الثالثة(مرحلة التفاعل الفني):1945-1954

أما المرحلة الثالثة فتدعى مرحلة التفاعل الفني ،وهي التي يمكن ان تكون بدأت طلائعها في أعقاب الحرب العالمية الثانية مع عودة البصائر إلى الظهور من جديد في سلسلتها الثانية1947 ،وتتركز إسهامات أدبائها حول عملية الإعداد للثورة عن طريق إشاعة مناخها في أوساط الأمة والتمكين لأسبابها النفسية والفكرية والميدانية في وجدان الفرد الجزائري ويمثلها بالإضافة إلى أدباء الجيل السابق كوكبة من الأدباء المجددين(عبد الوهاب بن منصور ن رضا حوحو ، بوشوشي ، احمد بن ذياب ،محمد الصالح رمضان ، محمد الغسيري، السائحي ،أبو بكر بن رحمون ،عبد الله شريط ،عبد المجيد الشافعي ،أحمد بن عاشور ،سعد الله وغيرهم"65 ، تميزت كتاباتهم بالابتعاد عن التكلف والصنعة الثقيلة ، ووسمت بالفنية " والأخذ بمنهج السهولة واليسر والوضوح فازدهرت العملية الإبداعية بذلك وتجلى ذلك في تطوير التجربة الشعرية تعبيرا وتصويرا وفي حسن استثمار مااستصلحه السابقون في حقول النثر ، فنمت على أيدي أدباء هذا الجيل فروع جديدة في رياض المقالة والقصة والمسرحية والرواية"66

- المرحلة الرابعة(مرحلة الثورة:1954-1962)

ارتبطت الحركة الأدبية في هذه المرحلة بالحركة الثورية ،فحين "ثار الشعب الجزائري وفجر ثورته المباركة فزلزل بركانها قلاع المعتدين سارع الأدباء بالاستجابة لندائها والانضواء تحت لوائها مجاهدين يواجهون جيش العدو في ساحات الوغى بحد السلاح ،وأدباء يغذون بالكلمة المناضلة نار الثورة وهي تلهب ظهور فلول الظالمين ،ويسجلون في روائعهم ملامحها الخالدات ويبشرون بانتصارها على الغزاة ذات غد مشرق عزيز ،وقد استطاع أدباء هذه المرحلة أن يسهموا في تطوير العملية الأدبية بما كانوا

يبدعون من أعمال أدبية متنوعة ن فالشعراء منهم واصلوا عملهم في السمو بالتجربة الشعرية مضامين ن وطرق معالجة ووجوه صياغة ،أما الكتاب فازدهر على أيديهم ما زرعه أدباء المراحل السابقة في حقول النثر من فنون فنضج على أيديهم فن القصة القصيرة ووقف على أقدامه فن الرواية الحديثة وقد ساعدهم على تحقيق هذه النقلة في أعمالهم وفاؤهم لمنهجهم الأصيل القائم على المزاوجة الفنية بين النموذج التراثي وبين الإفادة من التجارب الأدبية الحديثة عربية وأجنبية" **67**

65-محمد بن سمينة: المرجع السابق،ص91

66- المرجع نفسه،الصفحة نفسها

67- المرجع نفسه،ص92

ومن أدباء هذه المرحلة نذكر : صالح خرفي ، حنفي بن عيسى ،مولود قاسم ، عبد الحميد بن هدوقة ، أبو العيد دودو ،الطاهر وطار ،عثمان سعدي ،محمد عبد القادر السائحي ، عبد الله ركيبي ،أبو القاسم خمار وغيرهم.

- المرحلة الخامسة: مابعد الاستقلال.

مرحلة تميزت بأعمال تتراوح قيمها الفنية بين الجودة والبساطة ،ويمثلها إلى جانب الأدباء المتقدمين عدد كبير من أ دباء جيل(السبعينات) ...وكان النتاج الأدبي انعكاسا للظروف التي ميزت المرحلة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ولم تكن مرحلة إنتاج أدبي غزير وذي مستوى فني راق .

نماذج شعرية :الأمين العمودي:

خير خصال الفتى حزم وإقدامُ

وشرها عن قضاء الوكر لمحجامُ

نفسي تريد العلا والدهر يعكسها

بالقهر والزجر إن الدهر ظلّامُ

إن الزمان سطا بسطوته

كما سطا على ضعيف الوحش ضرغام

أبكي إذا اشتد إرزام الحوادث بي

وللحوادث مثل الرعد إرزامُ

إن حل عام جديد قمت اسأله

قل لي بماذا أتيت أيها العامُ؟

هذا القضاء على من خصمه ملك

لايعتري فاه وقت الحكم تبسامُ

قل للذين تمادوا في غوايتهم

هل في قلوبكم يا قوم إسلامُ

المحاضرة الثالثة :

دور الصحافة في النهضة الأدبية(الشعرية).

كان للنهضة الأدبية في الجزائر عوامل عديدة سرّعت بمقدمها وعجلت بها ، رغم كل الظروف المحيطة بها ، وكما سبق الذكر ، فإن للصحافة العربية - والجزائرية خصوصا - دورا لايقل شأنا وتأثيرا عن بقية العوامل والمؤثرات الأخرى ، وذلك لدورها الكبير في إشاعة الإبداع بين الشعب من خلال ماكانت تنشره من نصوص الجزائريين الأولى ،"كما لعبت الصلة بالمشرق العربي دورا بارزا بفضل الصحف والنشريات التي كانت تسرب إلى التراب الوطني فتدعو إلى اليقظة والنهوض عربيا ومن بينها صحيفة "المؤيد" المصرية التي يقول عنها"سعد الدين بن أبي شنب":إنها ابتداء من سنة 1307ه(1889م)أخذت تدعو "إلى اليقظة ولإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب وحب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري فكانت الصحف والمجلات تأتيهم(الجزائريين) مباشرة من مصر أو تصل إليهم عن طريق غير مباشر أي طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة وأقل تشديدا من طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع باستقلاله او مابين حقائب الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة بعد أداء مناسك الحج أو العمرة ، وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي ، فمن آثار تلك الروابط الروحية والعقلية بين الشرق والغرب في ذلك الزمان أن أحدثت منذ مطلع القرن الرابع عشر حركة علمية أدبية تنتمي إلى النهضة الشرقية من ناحية وتقتدي بها ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث"68 ، ولم يكن دور الصحافة الوطنية الجزائرية أقل شأنا من دور الصحافة العربية ، حيث " أدت الصحافة في الجزائر دورا شريفا وعظيما معا فأيقظت الشعب وعرفته معنى الوطن والوطنية ودعته إلى التعلم ليتذوق حلاوة العلم وأرته المعنى الكريم للحياة المثلى"69

- الصحافة الوطنية والثقافة:

ارتبطت الثقافة بالإعلام والإعلام بالثقافة منذ وجدا، فكلاهما يخدم الآخر بطبيعته و" إن الكلام عن الصحافة الوطنية في الجزائر باللغتين الفرنسية والعربية ...تستحق الاهتمام لأنها سجلّ مواقف وديوان أدب وملف تاريخ" ، ومن نماذج المنابر الصحفية البارزة ذي الدور الفعال في النهضة الادبية الجزائرية صحيفة المنتقد التي كانت بوابة للشعراء والمبدعين و "جريدة المنتقد لابن باديس أصدرها بقسنطينة 1925، فكانت الفاتحة الميمونة في سجل حركة الإعلام الوطني والانطلاقة الرشيدة على درب النهضة

68- سعد الدين بن أبي شنب،النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر،مجلة كلية الآداب.جامعة الجزائر1962،ص211

69- عبد الملك مرتاض: أثر الصحافة العربية الجزائرية في النهضة الوطنية،مجلة الثقافة.عدد28 سبتمبر 1975.ص111

70- نور سلمان: مرجع سابق، ص129

العامة الفكرية والأدبية والاجتماعية ،فقد فتحت صدرها للأدباء واحتضنت أعمالهم فعرفت البلاد على صفحاتها ميلاد النهضة الأدبية71 ، وقد امتدح ابن باديس دور المنتقد أدبيا في قوله :"الحقيقة التي يعلمها كل أحد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت"المنتقد" **72** ، ومثل ذلك جريدة الإصلاح والأدب**:"**وكان الشيخ الطيب العقبي قد أ صدر ببسكرة جريدته(الإصلاح)1927 فكان لها دورها المميز في خدمة الحركة الأدبية ، كما أصدر في السنة نفسها(السعيد الزاهري1899 /1956) جريدة'البرق'فكان لها الأثر البارز في هذه النهضة الأدبية" **73**

كما "أشرقت سماء الجزائر ذات يوم من ديسمبر1935 بنور المولود الجديد"البصائر" فكانت الصحيفة الرابعة للجمعية والثانية بعد الشهاب في قائمة كبرى الصحف الوطنية التي كانت لها اليد الطولى في رعاية الحركة الفكرية والأدبية ومواكبة مسيرتها نحو أهدافها المنشودة"74

ويجدر بنا أن نذكر بعض العناوين البارزة للمنابر الصحفية التي كان لها دور كبير في النهضة الأدبية خاصة الشعرية منها، "وصحافة الجزائر الوطنية هي إما صحافة أفراد أو صحافة مجموعات وأحزاب وقد سبقتها في مجال التعبير عن الرفض صحافة فرنسية وأوروبية ووطنية ثم استمرت في مساندة خطها ومن أهم هذه الصحف العربية جريدة "المهاجر" التي أصدرها الجزائريون في دمشق سنة 1912 ، أي قبل الحرب العالمية الأولى ولكنها توقفت عن الصدور في سنتها الثالثة ن فخلفتها جريدة"الاتحاد الإسلامي" وجريدة المهاجر هذه كان لها دور رائد في حقلي الفكر والوطنية ، وكانت السباقة في طرح مشكلة الهجرة والتشرد والغربة في الوطن ، وأما بالفرنسية فقد كانت مجلة"المغرب" منذ سنة 1916 ن صوت المطالبين بالاستقلال وحق تقرير المصير"75

يتفق كثير من مؤرخي الحركة الصحفية الجزائرية على أن رائد الصحافة الجزائرية هوعمر راسم ، حيث"يعتبر عمر راسم رائد الصحافة الجزائرية العربية، اصدر سنة 1913 في الجزائر جريدة"ذو الفقار"وهي جريدة إصلاحية دينية كتب تحت عنوانها:"جريدة شهرية أسست للدفاع عن مسلمي شمال إفريقيا" واعتبر محمد عبده المدير الديني للجريدة ولقد هاجم عمر راسم الاستعمار وأساليبه متخفيا وراء توقيع 'ابن منصور الصنهاجي' وعندما عطلت السلطة الفرنسية الجريدة وذلك بعد صدور عددها الرابع عاد

71- محمد بن سمينة: في الأدب الجزائري الحديث،ص14

72- الشهاب ج1 م11أفريل 1935

73-محمد بن سمينة : المرجع السابق، ص42

74- محمد بن سمينة : المرجع نفسه ،ص42

75- نور سلمان: الأدب الجزائري.ص121

عمر راسم فأصدر في الجزائر وفي السنة نفسها(1913) صحيفة"الفاروق" الأسبوعية وهي صحيفة تعليمية وطنية أخلاقية اجتماعية شعارها' في القلب الدين والوجدان وحب البلاد' وكانت الفاروق منبرا لكتاب الحركة الإصلاحية فلاقت الكثير من تعنت الرقابة وتضييقها"76

لايمكن أن ينكر متتبع للحركة الإعلامية والصحافة الأدبية الدور الكبير لجريدة البصائر في نشر وترويج أسماء كثيرة ونصوص جديدة من الأدب الجزائري ، خاصة الشعري منه ، و هناك موقف لسعد الله من النهضة الأدبية في الجزائر، مبديا الدور الكبير لجريدة البصائر في النهضة الشعرية فقال في رده على الأديب رابح بونار المستبشر بالنهضة الأدبية في الجزائر:"أما قولك في النهضة الجزائرية إنها' قداجتازت التوتر المذكور ثم اندفعت في ميداني النظم والنثر بين التقليد والابتكار...' فهو طفرة عاطفية قد تبعث على الارتياح في النفس على مصير الأدب في الجزائر ولكنها لاترضى الواقع المؤلم الذي يعيشه الفكر الجزائري في جميع مظاهره.وهل يمكن أن نعد تلك النفثات الشعرية آو النثرية ألصحفيه التي تظهر على(البصائر)- وهي المظهر الوحيد المعبر عن الأدب الجزائري- نفثات إبداع وإجادة وعبقرية؟ اللهم إلا إذا قصدنا مغالطة الواقع وخداع أنفسنا الظمأى إلى أدب جزائري ثائر خلاق... او كنا من المتفائلين الذين يدفعون حرارة الشمس بالغربال كما يقول المثل"77

لقد كانت الصحافة الجزائرية مقاومة بامتياز في كافة ربوع الوطن ، ولعل مقاومتها في الجنوب الجزائري الذي كان يتعرض لمكيدة الفصل كانت مقاومة أشد ،"وكانت الصحافة العربية تقاوم في جنوب الجزائر وتسعى في إيقاظ الوعي وتدعو إلى الإصلاح والعلم" ، وكان أبو اليقظان إبراهيم رائد النهضة الصحفية في الجنوب والمقاوم الباسل المتحدي باجتهاده وجهاده الإعلامي الكبير ،" يمثل النهضة الصحفية في الجنوب(أبو اليقظان إبراهيم) ، ولد هذا الكاتب الشاعر يوم الاثنين 29 من صفر1306ه(تشرين الثاني1888م) في بلاد القرارة من قرى ميزاب... فشخص إلى تونس ليستزيد التعلم هناك في طائفة من التلاميذ القدماء... فانتقل أبو اليقظان من تونس إلى الجزائر في غضون 1926 لإنشاء صحافة وطنية عربية لهذا الغرض فخرجت جريدة "وادي ميزاب" برز منها أول عدد في فاتح تشرين الأول 1926م وكان طبع الجرائد بتونس وتحريرها وإدارتها بالجزائر ولكنها تعطلت ثم أسسوا المطبعة العربية سنة 1931 في الجزائر وكان التعطيل للجرائد تباعا"79 ن **كما** "وشارك شيوخ الإباضية الجنوبيون في إصدار عدد من الدوريات العربية ولكنها لم تعمر بسبب قرارات التعطيل التي لاحقت الصحيفة تلو الآخرين فسمى أنور الجندي صحافة الجنوبيين بالصحافة"الموؤودة" واستمرت مطابع الإباضيين الجنوبيين

76- نور سلمان: الأدب الجزائري.ص122

77-سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة.ص161

78محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ص486

79-سعد الله : تجارب في الأدب والرحلة ص487

في إصدار الصحف من سنة 1926 إلى سنة1938 متحدية تعسف السلطة الفرنسية وتضييق الرقابة، ومفضلة التعطيل على نشر الأباطيل.فقامت إحداها وهي جريدة "الأمة" بحملة لإنشاء جامعة عربية في

الجزائر على غرار الزيتونة والأزهر ولم تتوقف سلطة الاحتلال عند قرار التعطيل آو منع نشر مقالات معينة وحسب ،بل لجأت إلى نفي الصحافيين واعتقالهم لكف قلمهم نهائيا"80

- الصحافة لدى جمعية العلماء المسلمين:

امتد نشاط جمعية العلماء المسلمين إلى الصحافة فأصدر بعض أعضائها بصفتهم الشخصية صحفا قوية النبرة كصحف أبي اليقظان ،كما صدر عن الجمعية نفسها صحف تنطق باسمها وفي طليعتها "المنتقد" وكان شعارها"الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء" ثم "الشهاب"(سنة1925) وهي صحيفة ابن باديس وسجل لآرائه ومواقفه ودعواته وقد تحدى ابن باديس قدر المستطاع تصلب الرقابة واضطهاد السلطة فنقل إلى قرائه أخبار الاحتلال كما عبر عن استياء أفراد الشعب على مختلف طبقاته من السياسة الفرنسية وذلك في مقالات صريحة ومتتابعة"81 ، ولا ينكر احد أن لصحافة الجمعية دورا نهضويا بارزا إذ " تولت صحافة جمعية العلماء مسؤولية الحفاظ على الشخصية الجزائرية الإسلامية والدعوة إلى النهضة عن طريق العلم والثقافة الدينية الصحيحة ثم التمسك باللغة العربية على أنها لغة الدين والأرض والتراث" **82**

لم تسلم الصحافة الوطنية من التعرض إلى العراقيل والصعوبات الكثيرة من طرف المستعمر الذي حاول التضييق عليها ووأدها في مهدها ،كما يعترف بذلك أبو اليقظان متحدثا عن جريدة النور:"اجتازت النور مرحلة السنة الأولى وهي محفوفة بالأخطار محاطة بالمعاطب ،والأهوال من شدة الأزمة المالية الآخذة بالخناق ، ومن تسمم الجو السياسي وضيق مجال الكاتب فيه ،وانقطاع منابع الثروة الشرقية الأدبية عنه ،وخطورة مركز الصحافة العربية وإعراض جل الأمة عن الصحافة وصدودها عن كل مايتصرف فيها اجتازت هذه الأزمات كلها وهي ثابتة الجأ ش راسخة القدم مستقيمة المنهج ،متحدة الخطة ، جاعلة الصدق شعارها ،والحكمة والاعتدال مسلكها ،والنهوض بالأمة إلى الحياة الحقة رائدها ،قاومت سموم التفرقة ،وجراثيم الإباحة والشيوعية الهدامة ن ولكنها مرت على لغو أخصامها مرّ الكرام" أبو اليقظان:83 ، مثلما واجهت هذه الصحافة عقبات كثيرة أهمها العقبات السياسية التي عرضتها للتعطيل وضيقت عليها مجال التعبير ولكنها استمرت رغم قلة مواردها المادية ، غارزة في أذهان قرائها كلمات حية

/_____

80- نور سلمان: الأدب الجزائري ص123

81- نور سلمان: الأدب الجزائري ص124

82- نور سلمان: الأدب الجزائري ص125

83- جريدة النور 27 أيلول 1932

كالاستقلال والحرية والوطنية والمساواة والغيرة الإسلامية" 84

لقد كان هناك صراع بين الصحافة الفرنسية و الصحافة الوطنية بيّنا للعيان ، وهو إنما صراع مستعمر وشعب محتل ، فحاول الأول تدمير البنيات الفكرية الثقافية وكل وسائل انتشارها ولكن"لم تستطع صحافة المستعمر الرسمية منها والخاصة الوقوف كليا في وجه الصحافة الوطنية.ونعني بالصحافة الوطنية تلك

التي تعالج شؤون الجزائريين المسلمين والمواطنين وتدافع عن حقوقهم وتعبر عن مطالبهم ، ولقد احتلت دور الكتاب لقلة المطابع ولضعف حركة النشر في الجزائر، فكانت منبر الكاتب والشاعر والمعلق السياسي والمصلح الديني والاجتماعي ن وكان لها الفضل في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها أداة للتداول وللتعبير الحي ،كما كان لها الدور الكبير في إقامة الروابط وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي "85

ومن نماذج الأعمال الأدبية التي رات النور عبر الصحافة الجزائرية نذكر أول بذرة للتجديد على يد(رمضان حمود)بقصيدته"ياقلبي" التي نشرها في العدد 96 من جريدة وادي ميزاب في 10 -08-1928م يقول فيها:

ويلاه من همّ يذيب جوانحي

فكأنما في القلب جذوة نارِ

نفسي معذّبة بهمّة شاعر

دمعي على رغم التجلد سارِ

حظي على متن النوائب راكب

تمشي به لمحطة الأكدارِ

قد خانني دهري وتلك سجية

للدهر مثل سجية الأشرار

هو دائما لي عابس متنكر

حتى الطبيعة حسنها متوارِ

---

84 -نور سلمان: الأدب الجزائري ص120

85- المرجع نسه،ص120

كما نشرأبو القاسم سعد الله قصيدته (طريقي) من الشعر في(البصائر)بتاريخ 25 مارس 1955م عدد311 وتضمنها ديوانه(ثائر وحب) يقول فيها:

يارفيقي

لاتلمني عن مروقي

فقد اخترت طريقي

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخب الأنات عربيد الخيال

كل مافيه جراحات تسيل

وظلام وشكاوى ووحول

تتراءى كطيوف

من حتوف

في طريقي

يارفيقي

المحاضرة الرابعة:

مدخل إلى اتجاهات الشعر الجزائري

إنّ المتتبع لصيرورة وسيرورة الشعرية الجزائرية الحديثة ،لا يمكنه أن ينكر ذلك الامتداد الشعري الكبير في عوالم التجربة الشعرية الجزائرية القديمة منذ القرون الأولى للتواجد العربي بالمغرب الكبير ، ولعلّ الشعر الجزائري- مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى- يكاد يكون الفنّ الوحيد الذي ظل محافظا على ألقه و استمراريته ن ولمعان أعلامه ونصوصه ن رغم كل المؤثرات المحيطة به ، ورغم الحيز الزمني الكبير الذي شهد تحولات وتطورات هذا الفن الشعري ، وإذا كان لابد من الانتباه إلى بعض الفتور الذي انتاب التجربة الأدبية الجزائرية في فترات متقطعة من العصر الحديث ، فإنه لاينكر أحد أن التجربة الشعرية الحديثة قد شهدت نهضتها ورقيها وثورتها على عهد الأمير عبد القادر الذي كان –بحقّ- رائد هذه التجربة الشعرية الجزائرية الحديثة ، رغم الأسماء التي عاصرته فلم تسرق منه لواء الشعر الحديث تميزا واختلافا وتجديدا ، موازاة مع تجربة شعرية عربية كان لها أعلامها من المجددين.

يسجل تاريخُ الحركة الشعرية الجزائرية الحديثة ،بأن هناك عواملَ ومؤثراتٍ كثيرةً ، سياسية واجتماعية وثقافية أحاطت بهذه الحركة محاولةً تجيدها وسدّها والتصدي لها ، من طرف المستعمِر

الفرنسي ذي السياسة التهديمية المكيدة للمقومات الثقافية وللهوية الوطنية الجزائرية ، وذلك بسبل عديدة وأساليب مختلفة لم تستطع أن تقف في وجه نهضة أدبية مشهودة ، وأخرى شعرية محمودة، حمل ألويتها شعراء كثيرون واعون بالواجب الشعري الوطني الهوياتي الثقافي لهذه الأمة الجزائرية الخالدة.

سنحاول في المحاضرات الثلاثة التالية لهذا المدخل ،التوقفَ بالدرس والتحليل والتتبع العميق للتجربة الشعرية الجزائرية الحديثة، في تمثلاتها الفنية ومحمولاتها الموضوعاتية ، مقتفين اتجاهات الشعرية الجزائرية المعاصرة ، الضاربة في حسّ إصلاحي ذي مسحة دينية كبيرة ، رافقت الفترةَ التأسيسية الأولى للوعي الإصلاحي الديني للأمة الجزائرية ، في ثورة على المعتقدات البالية صناعة لوعي شعبي جماهيري قادر على مجابهة سياسة استعمارية هدّامة لمقومات الأمة الواحدة ، ويمثل شعريةَ هذه المرحلة شعراء كثيرون منهم:محمد العيد آل خليفة ، والأمين العمودي ، وأبو اليقظان ، هذه التجربة الشعرية التي أرخت لفترة ثانية اتجهت فيها أقلام الشعراء إلى ماتجدد في مسار الحركة الثورية على المستعمر ، واستحالت عبارات ثائرة وعيارات مجاهدة أثناء الثورة التحريرية الكبرى ن وذلك بمسؤولية كبيرة ، وحسّ وطني ثوري كبير ،فكان الاتجاه الثوري واضحا في التجارب الشعرية لهذه المرحلة ، والتي كان خير من مثلها / مفدي زكرياء ، والسائحي الكبير وصالح خبشاش ،الذين سنتطرق لنصوصهم في المحاضرات اللاحقة،كما لايفوتنا أن نتطرق إلى الحس التجديدي للتجربة الجزائرية الحديثة، حيث شهدت القصيدة الجزائرية مسّا حداثيا كبيرا في أشكالها ومضامينها ،جعلها في مصاف القصيدة العربية ،ويعدّ الشاعر رمضان حمود حامل لواء التجديد في شعريتنا الجزائرية الحديثة، هو ومن تلاه بتجديد وتجريب واشتغال واع ،في شعرنا الحديث،من أمثال أبي القاسم سعد الله ، وبلقاسم خمار ،اللذين عرف الشعرُ الحرُّ بهما بوابة إلى شعرنا الجزائري الحديث ،وهو ماسنفصل فيه في المحاضرات التالية ، عن اتجاهات الشعر الجزائري الحديث.

المحاضرة الخامسة:

الشعر الإصلاحي الديني الجزائري:

انطلاقا من الحركة الإصلاحية الكبرى التي شهدتها الجزائر مطلع القرن العشرين ن وبمساهمات معتبرة للتيار الإصلاحي الذي قادته جمعية العلماء المسلمين بأعلامها وعلمائها ،والشعب الجزائري الواقف في وجه الحملة الاستعمارية التغريبية التخريبية ن المستهدفة للهوية الوطنية والثقافة المحلية الأصيلة للجزائريين ، انطلاقا من هذه الموجة الإصلاحية ، فقد أخذ مفهوم الوطن والوطنية مستويات رفيعة لدى الشعراء والمبدعين في ترجماتهم لمحبتهم للوطن وتمسكهم بهويتهم ، حيث" إن المفهوم السابق للوطنية عند الشعراء في المرحلة الأولى للنهضة يعكس تأثرهم بعاملين مهمين هما : وضع التخلف السائد في البيئة الوطنية والنزعة الإصلاحية"86 ، ولانشك في أن الحركة الإصلاحية كانت موجهة الشعر والشعراء فهي ترى" أن يهتم الكتّاب بالموضوعات العامة الجديرة بالالتفات فإن في ذلك مجالا واسعا لمن أراد أن يلفت أنظار الجمهور إلى الصالح العام من الحقوق المقدسة والواجبات القومية والتربية النفسية "(**المولود الحافظي .المنتقد.عدد23،4-07-1925.)** ، فالمصلحون وجهوا عنايتهم للحياة الاجتماعية واهتموا بالحياة الدينية والثقافية وابتعدوا في الوقت نفسه عن الجوانب السياسية في المرحلة الأولى للنهضة...ووصفوا الأوضاع السيئة ونددوا بالشقاء الذي بعاني منه المجتمع الجزائري،كما دعوا إلى النهضة وإلى تغيير الأوضاع السيئة كماقال الشاعر'المولود الزريبي':

فياوطني لم آل جهدا وإنما

رأيت زماني مع زمانك آتيا

فكم نصب لي في هواك ومانثنى

ضميري وقد أبديت نفسا عصاميا

فكنت أحاكي في سبيلي نافخا

رمادا فدائي قد أتى من دوائيا

ويدعو أبو اليقظان إلى العلم لأنه السبيل الأوحد إلى المجد ، وإلى إنارة دروب الأمم قائلا:

86- أحمد شرفي الرفاعي،الشعر الوطني الجزائري،دار الهدى عين مليلة،الجزائر،2010،ص69

وما المرء إلا بالعلوم معظّمُ

ولانال بالإهمال أعلى منازل

ويقول منبها مصلحا الرأي والفكر: (ديوان أبي اليقظان،ص154)

يانخبة الشعب العزيز تنبها

لمصيركم إذ حل كل شقاء

وإذا بقيتم راقدين فحسبكم

نار المذلة داخل الأحشاء

أما محمد العيد آل خليفة داعيا إلى إصلاح ذات البين ، والوحدة بين كل فئات المجتمع صمودا وتحديا لمفرق الجماعات المستعمر الغاشم: (الديوان ص249)

فيا عصبة العرفان ياقادة الهدى

تعالوا نرد الشعب ملتئم الشعب

تعالوا نخض في الصالحات ونستبق

فرائضها سيرا على واضح الدرب

يدعو الشاعر محمد بن الحاج إبراهيم الناس إلى التسلح بالعلم لأنه مفتاح من مفاتيح الحياة وطريق سوي للأمم والشعوب نحو مستقبلها الزاهر:

شباب العصر شمر للمعالي

فغنى العز في هذا المآل

وبادر للحياة بلا توانٍ

ولاتكسل ولاتبخل بمالِ

فإن العلم انفس من جمانٍ

ومن در ومن كل الآلي

فلست ترى له أبدا مثيلا

فجد وكن على الأقران عال

جمالك في بني الدنيا جميعا

بعلمك لابثوبك في الرجال

حياة الشعب في الدنيا إذا لم

تكن بعلم لاتبقى بحال

إذاما الشعب لاينهض عليه

فحيّك في دنى الأجيال خال

فشد بالعلم صرح العز واعلُ

علو الشهب في جنح الليالي

وبلغ أمة نامت طويلا

أحاديث الجدود ذوي الخصالِ

يعد محمد الأمين العمودي من أعمدة الشعر الإصلاحي والديني في الجزائر وقبل أن نورد له مقتطفات لابأس بأن نعرف به في لمحة وجيزة **(87)**،ولد محمد الامين العمودي حوالي 1892 بوادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري ،تعلم بالمكتب الفرنسي الابتدائي والمكتب القرآني بوادي سوف في السادسة عشر من عمره التحق بمدرسة قسنطينة(الفرنسية الإسلامية) ،اشتغل بوظيفة كاتب عدالة في(فج مزالة) ..ووكيل شرعي بمدينة بسكرة امينا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء مدة رئاسة الشيخ الأمام عبد الحميد بن باديس ،ورئيس جمعية المؤتمر التي أسسها مجموعة من الشباب لتحافظ على

مبادئ المؤتمر الإسلامي ،ظهرت أشعاره في الجزء الثاني من كتاب"شعراء الجزائر"للمرحوم محمد الهادي السنوسي المطبوع عام 1927،توفي بالبويرة شهر أكتوبر من عام 1957.

87- أنظر عبد العالي رزاقي:الشعر الجزائري المعاصر ، مجلة آمال، العدد الأول عام...ص07

نماذج شعرية :الأمين العمودي:(شعراء الجزائر في العصر الحاضر.ص21)

خير خصال الفتى حزم وإقدامُ

وشرها عن قضاء الوكر لمحجامُ

نفسي تريد العلا والدهر يعكسها

بالقهر والزجر إن الدهر ظلّامُ

إن الزمان سطا بسطوته

كما سطا على ضعيف الوحش ضرغام

أبكي إذا اشتد إرزام الحوادث بي

وللحوادث مثل الرعد إرزامُ

إن حل عام جديد قمت اسأله

قل لي بماذا أتيت أيها العامُ؟

هذا القضاء على من خصمه ملك

لايعتري فاه وقت الحكم تبسامُ

قل للذين تمادوا في غوايتهم

هل في قلوبكم يا قوم إسلامُ

إني وإن حط سوء الحظ منزلتي

وقد علا شرفي بالظلم أقوامُ

في خلقي رجل بر وفي أدبي

فحل لأثمن در الشعر نظّامُ

لو اتخذت خليج البحر محبرة

وصيغ لي من يراع العلم أقلامُ

وكان لي الجو قرطاسا أمهده

ضاقت على ماقاسيت أعوامُ

لي أسوة بالأولى غارت كواكبكم

ولم تهب لهم الأقدار ماراموا

لايمكننا أن نتحدث عن الشعر الإصلاحي الديني دون أن نتحسس التجربة الإصلاحية لدى محمد العيد، معرفين به أولا ،:(أنظر عبد العالي رزاقي:الشعر الجزائري المعاصر ، مجلة آمال، العدد الأول عام ص50)

هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من أولاد سوف ،له ديوان يضم اغلب شعره،صدر عام 1967، من مواليد عين البيضاء عام 1914، غادر بسكرة إلى تونس عام 1921 حيث تتلمذ بالزيتونة ثم رجع عام 1923 وشارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات ن توفي عام 1979 بباتنة ودفن ببسكرة.

قصيدة(الشعر والأدب) وهي تربوية إصلاحية:

أنا ابن جدي وقومي السادة العربُ

وحرفتي ماحييت الشعر والأدب

أنفقت وقتي في شعر وفي الأدب

لاشغل عندي غلا الشعر والأدب

ولاغذاء به أحيا بغير طوى

منعم البال إلا الشعر والأدب

أسالم الناس في عيشي فإن عمدوا

إلى خصامي فسيفي الشعر والأدب

وإن دعاني قومي أنا أناصرهم

فعدتي في انتصاري الشعر والأدب

قل للملوك مقالا من أخي ثقة

دليله في الحياة الشعر والأدب

وقل لمن هام في مال له لبد

ماالمال ويحك غلا الشعر والأدب

وقل لمن هام في حب الجمال لقد

أخطأت إن الجمال الشعر والأدب

وله قصيدة(مع الشعب) يحث فيها على التزام قضايا الشعب ونصرته في كل حالاته لأنه أقوى مايكون المرء بشعبه موحدا متكافلا:

قف حيث شعبك مهما كان موقفه

أولاه فإنك عضو منه منسحم

تقول أضحى شتيت الرأي منقسما

وأنت عنه شتيت الرأي مننقسم

فكن مع الشعب في قول وفي عمل

إن كنت بالرجل الشعبي تتسم

ولايرقك شفيف الذات مائعها

كالماء فيه وجوه الناس ترتسم

أعدى عدى القوم من يعزى لهم نسبا

ويسمع القدح فيهم وهو يبتسم

الشاعر(المولود بن الموهوب،محمد المولود بن الموهوب،من مواليد1866 بقسنطينة كان أستاذا للفقه والعلوم الإسلامية وكان مفتيا وخطيبا)

إذا جار الزمان عليك يوما

فصبرا فالزمان له مرورُ

ولاتنظر لحادثة ألمت

فإن القرح يتبعه السرورُ

وكن متمسكا بالله عقدا

هو المعطي المدبر والخبيرُ

فلطف الله أقرب كل شيء

إلى أحكامه الأشيا تصيرُ

علامَ المرء تزعجه شؤون

ويتلف عقلَه منه الغرورُ

أليس اليسر يأتي بعد عسر

بذا أنبا محمدنا البشير

فقل لي يا رقيق القلب قل لي

أيجمل أن يرى منك النفورُ

لعمرك إن تكن تبغي هناء

تمهل دون عسرك عسيرُ

تجرع مر صبر فهو صعب

فإن حلاوة الصبر الأخيرُ

ودع شكواك للمغرور واشكر

إلها شكره للقلب نور

الشاعر الطاهر بن عبد السلام(مواليد سوق أهراس متخرج من الزيتونة وناشر في الصحافة ن لكتاباته صدى وطني وإفريقي وبفرنسا)

قال في الزوايا التي صار يتعهدها الاستعمار بالمساعدات فمالت إلى جانبه:

لهم طرق شتى بها قد تشرعوا

وهم عن طريق الشرع عمي البصيرة

لهم من شياطين الأنام عصابة

تقودهم للنار من غير مرية

يسومونهم سوء العذاب بدجلهم

وأن أولاء هم شيوخ الطريقة

أنابهم الشيطان عنهم لزيغهم

لهم لضعاف العقل أكبر فتنة

- محمد الأخضر السائحي يصف زلزال الأصنام في بعد اجتماعي جميل(من مواليد1918 بقرية العلية بالجنوب الجزائري حفظ القرآن منتقلا إلى الزيتونة طالبا العلم، عمل بالإذاعة الوطنية ،له ديوان شعر عنوانه"همسات وصرخات"

وقفةً حول هذه الأطلا

لِ أيها الضاحكون للآمالِ

هاهنا كانت الحياة نعيما

بلغت كل غاية للكمالِ

بسم الحظ للعباد لديها

فانتشوا بالسرور والإقبالِ

ومشوا خلف ركبها في حبور

يتغنون بين تلك الظلالِ

لكن الحظ كالحروب سجال

فهو حال على المدى بعد حالِ

والليالي من يطمئن إليها

سحقته وذاك شان الليالي

لهف نفسي على أوانس غيد

كالدمى تحت هذه الأطلالِ

كم ملأن الفضاء عطرا وسحرا

حين اقبلن رائعاتِ الجمالِ

وصغار مثل الملائك طهرا

قد تربّوا في نغمة ودلالِ

ذبلوا كالورود والخطب أعمى

لايراعي براءةَ الأطفالِ

وشيوخ ذوي وقار عليهم

من جلال المشيب أي جلال

ضرجوا بالدماء في غير حرب

أو سيوف لدى الوغى أو نصالِ

ورجال مثل الأسود صعودا

وثباتا في الخطب أي رجالِ

صرعتهم من الزلزال هوجاء

على غير أهبة للنزالِ

- شعرُ المناسيات الدينية:

يعدّ الشعر الإسلامي الذي نتناوله كرافد قومي ومهم من روافد الشعر الوطني عميق الصلة بهذه الأصول العريقة ، والجديد فيه انه تكيف مع الظروف التي قيل فيها سواء في ذلك ظروف الحياة الاجتماعية أو ظروف الشعراء أنفسهم ذلك أن شعر المناسبات الدينية قبل النهضة الحديثة كان ظاهرة أدبية سلبية بروحه الفردية ومضامينه الفكرية الجبرية ونزعته الانطوائية ... أما شعرالمناسبات الدينية الذي ظهر مع بواكير اليقظة الوطنية في الجزائر فقد تخلى تدريجيا عن السلبيات المذكورة واستبدل بها إيجابيات مهمة ومستمدة من واقع الحياة الجزائرية ، من ذلك ربط العقيدة الإسلامية بواقع الحياة تؤثر فيها وتتأثر بها ،مما أعطاه أبعادا اجتماعية وفكرية مهمة للروح الدينية التي عبر عنها الشعراء، والمتتبع للشعر الديني الجزائري على ضوء الملاحظات السابقة يجده يعنى بالحياة الدينية من جوانب ثلاثة:

أ- الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد خصومها من المعمرين الفرنسيين. -أ

ب-الرد على المتزمتين الطرقيين. -ب

ج-الحث على التمسك بالشريعة الإسلامية والعمل بتعاليمها"88 -**ت**

قال محمد العيد منوها بموقف ابن باديس من متهجم استعماري على الإسلام:

هيهات لايعتري القرآن تبديل

وإن تبدل توراة وإنجيل

قل للذين رموا هذا الكتاب بما

لم يتفق معه شرح وتأويل

هل تشبهون ذوي الألباب في خلق

إلا كما تشبه الناسَ التماثيل

...

فليس فيه لأعلى الناس منزلة

عدن وفيه لأدنى الناس سجّيل

لااحتيال ولاغمص ولا مطل

ولااغتيال ولانغص وتنكيلُ

88- أحمد شرفي الرفاعي، المرجع السابق،ص122.

- محمد صالح خبشاش يتحدث عن المرأة:(من مواليد ضواحي قسنطينة عام 1904)

تركوك بين عبادة وشقاءِ

مكؤوبة في الليلة الظلماء

مغلولة الأيدي بأسوأبقعة

محفوفة بكتائب الإرزاء

دفنوك من قبل الممات وحبذا

لو متّ قبل تفاقم الأدواء

مسجونة مزجورة محرومة

محفوفة بملاءة سوداء

ماذا جنيت على الزمان وأهله

حتى رموك بطعنة نجلاء

لهفي على بنت تعيش شقية

حتى تصادف هادم السراء

أترى أرى فتياتنا وسط المدا

رس يرتشفن سلافة القرّاء

أترى أرى فتياتنا عونا إلى

شباننا في الساعة اللاواء

الغرب قد سئم السبات فكسر ال

أغلال واستعلى على الجوزاء

والشرق قد ألف السهاد وطالما

رام النهوض فناء بالأعباء

فسطا عليه الغرب سطوة ماكر

حتى هوى في الهوة التعساء

وأذاقه سوط العذاب صبيحة

وعشية من غير ما جرّاء

واتى بقانون له متشعب

متلون كتلون الحرباء

ماذاك إلا للجهالة بيننا

وغباوة الفتيات والأبناء

ويقول خبشاش متأسيا على ما آل إليه المسلمون في ابتعادهم عن شريعتهم:

ياقاهر الروم والأعراب والعجم

ياحائز الرتبة العلياء في الأمم

لاريب أن أصول الدين إن قدمت

عراها مايعتري الأشياء بالقدم

هذي شريعتك الغراء مابقيت

منها سوى لمع من الأعصر الدهم

أضاعها أهلها والعاملون بها

والعالمون ذوي الجبات والعمم

يامسلمون تعرفوا لمحمد

بالعلم لاكان الجهول المسلم

وتعرفوا بالمجد والإقدام لل

إسلام أن المسلم المتقدم

يقول محمد عساكر يستغل مناسبة دينية داعيا إلى الوحدة :

الدين يأمركم بان تتكتلوا

وتجمعوا أشتاتكم وتوحدوا

أيطيب عيشكم ويحلو نومكم

ونفوسكم في الغابرين تقيد

أيطيب عيشكم ويحلو نومكم

ونفوسكم وبلادكم تستعبد

أيطيب عيشكم ويحلو نومكم

وعلى رقابكم سيف مهند

قال الإمام عبد الحميد بن باديس في مدح النبي وذكر مكارم الأولين من الصديقين والصالحين:

المجد لله ثم المجد للعرب

من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي

ونشروا ملة في الناس عادلة

لاظلم فيها على دين ولانسب

وبذلوا العلم مجانا لطالبه

فنال رغباه ذو فقر وذو نشب

وحرروا العقل من جهل ومن وهم

وحرروا الدين من غش ومن كذب

المحاضرة السادسة:

الشعر الثوري الجزائري

لقد واكب الشعر الجزائري الثورة التحريرية ، وأرخ لها باقتدار كبير ودقة عظمى لذلك يعد بشكل من الأشكال وثيقة تاريخية تشهد بتفاصيل هذه الثورة ،" وإذا نظرنا إلى الفترة الواقعة بين عامي(1954-1962) فإننا نجد الشعراء الجزائريين فيها قد التحموا بالنضال والمقاومة وشاركوا الشعب في كفاحه الوطني "89 ، ومن هؤلاء الشعراء من سنذكرهم مقرنين إياهم ببعض قصائدهم الثورية.

- محمد الاخضر السائحي: ولد في أكتوبر 1918 بقرية علية دائرة تقرت ولاية ورقلة حفظ القرآن ، عام 1930 قم التحق بمدرسة (الحياة) في القرارة عام 1933 حيث تتلمذ على الشيخ بيوض مندة سنتين ، التحق بجامع الزيتونة وعاد عام 1930 مطاردا من المستعمر وقد زج به في السجن ، عمل منتجا بالإذاعة بالعاصمة عام 1952 وأستاذا في ثانوية القبة وتقاعد عام 1980 ، نشر شعره في كثير من الجرائد ، والمجلات الجزائرية والتونسية وله مجموعتان شعريتان (همسات وصرخات) 1967، و(جمر ورماد) 1980.

قصيدة(العيد)

رجّع نشيدك فالدنيا أناشيد

وكونك اليوم أنغام وترديد

واستقبل الصبح في الآلاء قد عبقت

أنفاسه في الروابي إنه العيد

الزهر في روضه المخضل مبتسم

والطير في دوحه النشوان غريد

89-أحمد دوغان: مرجع سابق،ص31.

والنهر سكران حارت في جداوله

خطاه والغصن مثل النهر عربيد

...

فجر أطل على الدنيا يهدهدها

والليل ملء فضاء الله ممدود

هزت جوانبها البشرى بمقدمه

فغنت المدن الخضراء والبيد

وافتر في كل تاج من حوالكها

نور تألق تحت الليل مشهود

ترنو غليه وفي الأفواه أسئلة

شتى تردد والأقوال تمجيد

الاحتفالات كالأعراس قائمة

فيه وسائره هم وتنكيد

- **أبو القاسم سعد الله** ،من مواليد قمار بالوادي عام 1930 ، حفظ القرآن صغيرا واشتغل بفلاحة النخيل، التحق بجامع الزيتونة عام 1947 وتحصل على شهادة الأهليه عام 1951 وعلى التحصيل عام 1954، اشتغل معلما بالعاصمة عام 1954، التحق بالقاهرة عام 1955وسجل في جامعتها وتحصل منها عام 1959 على شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية،التحق أواخر عام 1960 بأمريكا للدراسة في جامعاتها وحصل هنالك على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية عام 1962 ،وعلى

الدكتوراه عام 1965، نشر كتاباته في تونس في جريدة النهضة والأسبوع وبالجزائر في البصائر والآداب اللبنانية وساهم في إنشاء رابطة القلم الجديد، ومن مؤلفاته الشعرية:النصر للجزائر،ثائر وحب،وفي الدراسات: دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ومحمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث،و محمد الشاذلي القسنطيني،كما حقق رواية'حكاية العشاق في الحب والاشتياق، ومن أشهر مؤلفاته الموسوعية(تاريخ الجزائر الثقافي.

قصيدة(الثورة)

(سعد الله:ثائر وحب،منشورات دار الآداب.بيروت.1967،ص32-34)

كان حلما واختمار

كان لحنا في السنين

كان شوقا في الصدور

أن نرى الأرض تثور

أرضنا بالذات أرض الوادعين

أرضنا السكرى بأفيون الولاء

أرضنا المغلولة الأعناق من قرن مضى

كان حلما كان شوقا كان لحنا

غير أن الأرض ثارت

والهتافات تعالت

من رصاص الثائرين

والكثافات تهاوت

مثلما تهوي الظنون

وبراكين بلادي هزت الدنيا ومارت

كقلوب الكرماء الوادعين

وصحا أهلي من سكر السنين

وبدا الأفيون حقدا في الجبين

إننا كنا كراما أسخياء

زرعوا فينا الولاء

وأعدّونا ليمحوا ذاتنا

ليذيبونا اندماجا وفناء

أي جرم أن نكون الأسخياء

كان شوقا كان حلما كان حلما

أن نرى الأرض تثور

أن نرى الأفيون نارا فقي العيون

غير أن الليلة الغراء شفت عن بطوله

والنداء الحر قد هز الرجولة

والشتاء السادر المقرور قد عاد ضرام

والولاء الوافر المخدور قد عاد انتقام

- محمد الهادي السنوسي:

ولد محمد الهادي السنوسي الزاهري فيقرية ليانة من قرى الزاب الشرقي حفظ القرآن ثم أرسله والده إلى قسنطينة للتعلم على يد الإمام ابن باديس رحمه الله، أصدر كتابه(شعراء الجزائر في العصر الحاضر) عام 1926-1927،اشتغل في التعليم الحر بالعاصمة وتلمسان وبلعباس ، توفي عام 1974 بالعاصمة.

قصيدة(الشهيد):

ولدي فقدتك والحياة جميعها في من فقدت

ياليتني لما احتضنتك للوداه هناك مت

لم انس وقفتنا الرهيبة إذ أغالب ماكتمت

وجوانحي نار يراق على جوانبهن زيت

الواجبات ملحة وحنان قلبي لا يبت

غالبت في سري قضاء الله لكني غلبت

حققت فيك بناظري فنظرت فيك ومانظرت

ذهب التأمل بي وفي الغمرات في الغابات غبت

وتصورت لي وحشة الظلماء والبين المشت

والريح بالأدواح تعصف عصفها والكهف بيت

والثلج والبرد المبرح في عزائمنا يفت

والقوت في الجبال والغابات بالبلوى يلت

ماذا أقول وطائف الأهوال ساد وفيه حرت

وأنا الأب العاني وقد عقد اللسان وساد صمت

....

أنا يا أبي صممت أن أغدو يومي للكفاح

أغدو لاضرب في العدو بماتيسر من سلاح

بنواجذي وبخنجري وبقبضتي وبالصفاح

وطني وشعبي والضمير الكل يهتف بي وصاح

أنا لاأقيم على الهوان وموطني نهب مباح

حق الجهاد أبي فلا شك ولاعذر يباح

أنا من صحابي كالجناح وهم لعزمي كالجناح

لانرهب الموت الزؤام ولانبالي بالجراح

جار العدو على الجزائر والجزائر تستباح

نادت بنا الجام والربوات نادتنا البطاح

نادى بنا حسان في أصحابه الغر الصباح

في عقبة الغارات والغمرات في ركب الفلاح

إذ تستقل بلادنا وتشيع أنوار الصباح

- **أحمد سحنون** ، ولد الشيخ أحمد سحنون سنة 1906 أو 1907 بقرية ليشاة بالزاب الغربي ، تثقف على يد والده وشيوخ عصره خاصة الشيخ محمد خير الدين ، والتحق بمدرسة عبد الحميد بن باديس ، ونشر شعره في جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(النجاح- الشهاب – البصائر ،سجن أثناء الثورة التحريرية ثلاث سنوات من عام 1956-1959 ن وكتب بسجنه شعرا كثيرا ، عمل بعد الاستقلال إماما بالمسجد الكبير ن طبع ديوانه عام 1977 في سلسلة شعراء الجزائر ن وصدر له عام 1981 كتاب(دراسات وتوجيهات إسلامية) ، ومن أرائه عن علاقة الشعر بالثورة يقول :" وكان فيها حقا حاديا في قافلة حركتنا الفكرية الإصلاحية التي سبقت الثورة ومهدت لها فكانت أساسا لها ومن ثم فالذي يؤرخ لثورتنا التحريرية لايسعه إلا أن يؤرخ لهذه الفترة الحاسمة التي تكوّن في احشائها جنين الثورة فإنه

بالحري لابد لكل ثورة مسلحة أن تسبقها ثورة فكرية"(من مقدمة ديوان أحمد سحنون ،نقلا عن رزاقي،الشعر الجزائري المعاصر)

قصيدة(تحية إلى جيش التحرير)

نضّر الله هذه الأوجه الغر وجوه كتائب التحرير

وحياها مايستحق أولو الفضل من الاعتبار والتقدير

وجزاها على الجهاد الذي أحيا صريع الكرى وميت الفتور

أن من هاهنا سينشق فجر يمّحي من سناه ليل الشرور

إن من هاهنا سيندك صرح قد تعالى من باطل وغرور

إن من هاهنا سيبعث شعب عربي اللسان والتفكير

إن من هاهنا سينشر عهد ابدي السنا عميم النور

وستهتز بالحياة وبالخصب بلاد(الشمال) بعد دثور

فجبال (الأوراس) مطلع فجر لشعوب تعيش في ديجور

أيها الجيش يامنارا لنشر المجد يفديك جيش بغي وزور

لم نجد في الجيوش مثلك إلا جيش(بدر) في يومه المشهور

لم تعد قط من كفاحك إلا بلواء المظفر المنصور

....

آن أن تجتني الثمار شهيات وتحظى بحظك الموفور

ودنا يومك الأغر الذي يغدو على الدهر يوم عيد كبير

عيد حرية (الجزائر) كم تثمن فيه من بهجة وحبور

وبه تعلن البشائر بالسلم لكون آدته حرب الدهور

أيها الجيش هذه باقة من ذوب قلبي لاباقة من زهور

هي خجلى أمام مجد عظيم في حياء مما بها من قصور

فأجبها بالقبول تحفظ بمجد أبدي كبندك المنشور

-مفدي زكرياء ، ولد مفدي زكريا بن سليمان في شهر أفريل من عام 1913م ببني يسقن بغرداية ، وفيها ابتدأ قراءة القرآن وفي السابعة من عمره انتقل لإلى مدينة عنابة مقر تجارة والده وأرسل ضمن البعثة الميزابية إلى تونس حيث تحصل على الشهادة الثانوية من (الخلدونية) كتب بأسماء مستعارة منها(فتى

المغرب ،وابن تومرت) كما لقب بشاعر الثورة ، ساهم بفعالية في النشاط الأدبي والسياسي قبل الثورة التحريرية ودخل السجن خمس مرات متتالية إلى أن فر منه في فيفري 1959 ملتحقا بصفوف جيش التحرير الوطني في الخارج ،صدر له(اللهب المقدس) ببيروت عام 1961 و(تحت ظلال الزيتون) بتونس عام 1966 و(إلياذة الجزائر) نشرتها مجلة الأصالة وقد نظمها خصيصا للملتقى السادس للفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر العاصمة عام 19723. توفي في 17 أوت 1977 بتونس ودفن بمسقط رأسه.

قصيدة(فلاعز حتى تستقل الجزائر)

مددنا خيوط الفجر قم نصنع الفجر

وصغنا كتاب البعث قم تنشر السفرا

وغصنا بصدر الغيب نجلو ضميره

ونقرأ من عدل السماء به سطرا

ودسنا غرور الدهر في كبريائه

فصعّر خدا وانحنى يطلب العذرا

وخضنا تصاريف الزمان نروضها

ونصدع بالإعجاز أحداثها السكرى

وسقنا سفين الوعد حمرا شراعها

يوجهها للنصر من وعد النصرا

...

فرنسا أضاعت رشدها يوم أسلمت

قيادتها ديغول يحكمها قهرا

تدحرجه هستيريا الحكم للفنا

ويدفعه مس الجنون إلى العسرى

خراب وفوضى وانحلال وأزمة

به سرطان الموت في دمها استشرى

به الشعب مسؤول ثقيل ضميره

يحمله التاريخ من بغيه وزرا

...فرنسا ذي الأوهام فالوهم قاتل

فلسنا نضحي من جزائرنا شبرا

فرنسا دعي الأطماع فالسعي فاسل

فكل فرنسا لانبيع بها الصحرا

وإن تيمتكم ثورة في بطونها

حفرنا لكم في بطن صحرائنا قبرا

المحاضرة السابعة:

الشعر التجديدي.

شهدت القصيدة الجزائرية الحديثة حركة تجديدية كبيرة على يد شعراء لم يكتبوا وفق السائد والنمطي ولا هم استعادوا القصيدة القديمة جوفاء ولااجتروا نصوصا قديمة سابقة إنما حاولوا أن يكتبوا عصرهم بطريقتهم فخرجوا عن السائد، "كانت أول بذرة للتجديد على يد(رمضان حمود) بقصيدته"ياقلبي" التي نشرها في العدد 96 من جريدة وادي ميزاب في 10 -08-1928م يقول فيها:

ويلاه من همّ يذيب جوانحي

فكأنما في القلب جذوة نارِ

نفسي معذّبة بهمّة شاعر

دمعي على رغم التجلد سارِ

حظي على متن النوائب راكب

تمشي به لمحطة الأكدارِ

قد خانني دهري وتلك سجية

للدهر مثل سجية الأشرار

يعد رمضان حمود رائد التجديد في الشعر الجزائري الحديث ، ويجدر بنا ان نقدم لمحة عن حياته، شاعر سياسي ولد بغرداية عام 1906 ، " ولم يكد رمضان حمود يبلغ سن التحصيل العلمي حتى أخذه والده سليمان بن قاسم التاجر معه إلى مدينة غليزان التي تقع في الغرب الجزائري وأدخله إلى إحدى المدارس الفرنسية وقد اظهر الفتى حمود تفوقا في الدراسة...وانتقل رمضان حمود رفقة أعضاء البعثة العلمية التي اتجهت من وادي ميزاب نحو مدينة تونس سنة 1917..." **90-** كما تعرض للسجن من طرف المستعمر عام 1925، وتوفي في 1929) الجزائريين،ط01.2001.ص223

كتب في الشعر والخاطرة الفنية والمقالة النقدية والسيرة الذاتية ، ومن آثاره الشعرية:

90- شريبط احمد شريبط،مباحث في الأدب الجزائري المعاصر،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين.2001

-في الشعر: ترك قرابة ثلاثين قصيدة

-المقال والخواطر: جمعت في كتابه"بذور الحياة" وصدر في تونس عام1928

" وتمحورت مضامين شعر رمضان حمود في المحاور التالية:

1-وصف للواقع العربي الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري جهلا وتفرقة وأغلالا.

2-دعوة ملحاح إلى الأخذ بأسباب الحياة المتطورة في إطار الأصالة الشخصية إقبالا على العلم واتحاد الكلمة ومطالبة بالحقوق

3- الوقوف بشجاعة أمام الظالم مهما يكن مصدره

4-التعاطف القولي مع بعض الأحداث الإصلاحية (ينظرشريبط أ.ش.مرجع سابق ص 227-228)

ويمكن إرجاع سبب دعوته إلى التجديد إلى ثقافته المزدوجة وتأثره بخصوصيات أدب المراسلة الفرنسية وإلى قراءته لنماذج الأدب العربي الحديث المتأثرة بدعوات التجديد والثورة على القديم والمدرسة الكلاسيكية ، وأيضا لشفافية إحساسه وسرعة تأثره ووعيه المبكر بأوضاع مجتمعه التاريخية وحرمان شعبه...وينطلق رمضان حمود في رؤيته التجديدية من فرضية وضعها هو لنفسه وهي أن لكل جيل أدبه وأنه ليس من واجب اي جيل أن يأخذ عمن سبقوه إذ عليه أن يستوعب عصره ويغوص في روحه إلى حد إدراك كنهه"(ينظرشريبط أ.ش.مرجع سابق شريط ص229)ويقول حمود داعيا إلى التجديد:

ألا جددوا عصرا منيرا لشعركم

فسلسلة التقليد حطمها العصرُ

وسيروا به نحو الكمال ووسعوا

معالمه يصافحه البدر

كما كان من قبل الرشيد وبعده

فتلك عصور الشعر حف بها النصرُ

يقول رمضان حمود داعيا إلى التجديد" التجديد المطلوب من المشرق في نهضته الحالية هو أن يأخذ حسنات الماضي فيضيفها إلى مافي يده من اللباب ويكمل مانقص من مدنية الغرب الصالحة ثم يخرج من ذلك حياته الطيبة التي خلق لأجلها والتي لايقدر أن يعيش بدونها" (محمد ناصر:رمضان حمود الشاعر الثائر .ص106)

ومن ملامح التجريب في شعر رمضان حمود هو وحدة الموضوع: وهي "خاصية فنية امتاز بها الشعر الجزائري خلال العقود الثلاثة الأولى للقرن الحالي-1900-1930) فقد توفرت هذه الخاصية في قصائد كثيرة للشعراء:عمر بن قدور وأبي اليقظان ومحمد الهادي السنوسي واللقاني بن السائح وغيرهم(أما من

حيث الصياغة الفنية) فحاول حمود أن يستفيد من تقنية العمل القصصي في شعره ،وحضور التراث في شعر رمضان حمود.، والتضمين والاقتباس والحكمة،كان ينظر لكن لايطبق كثيرا في شعره

كان يميل للمعارضات ،" ومن نماذج المعارضات في شعر رمضان حمود هذه الأبيات التي يعارض فيها لامية مؤيد الدين الأصفهاني(1121-1061) المعروف بالطغرائي يقول حمود:

ولاأعيش بأرض الذل مكتئبا

فالذل من شيمة الأنذال السفل

وأبذل النفس في سبيل الحياة فدى

ولاأعول في الدنيا على رجل

فهاته غايتي بالجد ابلغها

وأبتني منزلا في دارة الحمل"

فقد طبقه في قصيدته موت الغريب"91 "حيث صبها في قالب الحكاية واستعان في أحداثها بأسلوب قصصي كثيرا ما أضفي على التجربة الشعرية سحرا خاصا يشد انتباه القارئ"92 ، **و"**غدت اللغة في شعر رمضان حمود قريبة من المستوى العام خاصة في مرحلته الثانية وهذا لايعني انه اقترب من الخطاب العامي ، كلا وإنما صار البيت الشعري يصاغ بلغة وسطية تسمح بإيصال رسالة الخطاب إلى السامع أو القارئ دون أن يمعن النظر...ولاتختلف بنية شعر رمضان حمود كثيرا عن بنية تجارب معاصريه رغم دعوته الجريئة إلى تجديد أساليب الإنشاء والصياغة والسمو بالقصيدة الشعرية إلى النموذج الشعري العربي الذي أفرزته عصور الازدهار والتطور الحضاري "93

- أبو القاسم سعد الله التجربة التجديدية الناضجة:

91- شريبط أحمد شريبط:المرجع السابق.ص 231

92- رمضان حمود : بذور الحياة 103،ص

93- أحمد شريبط: المرجع السابق231

من مواليد قمار بالوادي عام 1930 ، حفظ القرآن صغيرا واشتغل بفلاحة النخيل، التحق بجامع الزيتونة عام 1947 وتحصل على شهادة الأهلية عام 1951 وعلى التحصيل عام 1954، اشتغل معلما بالعاصمة عام 1954، التحق بالقاهرة عام 1955وسجل في جامعتها وتحصل منها عام 1959 على شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية،التحق أواخر عام 1960 بأمريكا للدراسة في جامعاتها وحصل هنالك على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية عام 1962 ،وعلى الدكتوراه عام 1965، نشر كتاباته في تونس في جريدة النهضة والأسبوع وبالجزائر في البصائر والآداب اللبنانية وساهم في إنشاء رابطة القلم الجديد ومن مؤلفاته الشعرية:النصر للجزائر،ثائر وحب،وفي الدراسات:دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ومحمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث،و

محمد الشاذلي القسنطيني،كما حقق رواية'حكاية العشاق في الحب والاشتياق، ومن أشهر مؤلفاته الموسوعية(تاريخ الجزائر الثقافي.)"غير أن التجربة التجديدية الناضجة في شكل القصيدة الجزائرية قد بدأت على يد شاعر آخر هو(أبو القاسم سعد الله)المولود سنة 1930، وذلك بقصيدته (طريقي) من الشعر الحر التي نشرها في(البصائر)بتاريخ 25 مارس 1955م عدد311 وتضمنها ديوانه(ثائر وحب) يقول فيها:

يارفيقي

لاتلمني عن مروقي

فقد اخترت طريقي

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخب الأنات عربيد الخيال

كل مافيه جراحات تسيل

وظلام وشكاوى ووحول

تتراءى كطيوف

من حتوف

في طريقي

يارفيقي

وتأتي ريادة سعد الله الناضجة على أساس تاريخ نشر هذه القصيدة لأن هناك اشارة لسابق عنها لم ينشر له(1953)ولغيره(خمار) قصيدة(الموتورة) في عام 1954 حسب قوله التي يعتقد انه نشرها في الشام من دون أن يتذكر المجلة التي يكون نشر فيها هذه القصيدة"94

قصيدة الموتورة:

كحبل وريد

قريب بعيد

هنالك من خيمة نازحة

إلى جانب القرية النائحة

هنالك خلف القبور العراة

وبين الماسي ولفح السراب

بدت عائدة

بقبضتها كمشة من تراب

تزاحمها صخرة صامدة

وقد هتفت ببريق عجيب

كلون اللهيب

كلحن الألم

وهكذا نلاحظ أن بذرة النزوع إلى التجديد في الشعر ألقاها 'رمضان حمود' في 1928 أما البداية الجادة فكانت بنت الخمسينات ومهما اختلفت الآراء و تعددت الأقوال في أول نص من الشعر الحر ظهر في الشعر الجزائري فإن الثابت كما يقول

94- عمر بن قينة:في الأدب الجزائري الحديث، ص 78

الدكتور محمد ناصر (هوأن الشاعر الجزائري الوحيد الذي اتجه إلى هذا الشعر عن وعي واقتدار وحاول التجديد في الإشكالية الموسيقية للقصيدة وفي بنيتها التعبيرية هو أبو القاسم سعد الله في حين ظلت محاولات الشعراء الآخرين من أمثال محمد الأخضر عبد القار السائحي والطاهر بوشوشي والغوالمي وأبي القاسم خمار متسمة بالتذبذب والتردد" (عمر بن قينة .مرجع سابق.ص)79

المحاضرة الثامنة

الفنون النثرية الجزائرية الحديثة

يحسن بنا أن نمهد بلمحة وجيزة عن الفنون النثرية الجزائرية الحديثة ، وذلك قبل التفصيل في كل فن منها، إذ"إن جميع الفنون النثرية الجزائرية الحديثة ابتداء من القصة ومرورا بالمسرحية والرواية إلى المقالة الأدبية والأبحاث النقدية قد تطورت تطورا كبيرا وليس هذا التطور دليلا على تفوق الأديب الجزائري المعاصر على الأديب الجزائري لفترة ماقبل الاستقلال بقدر ماهو دليل على قدرة الأدب الجزائري الحديث على مواكبة النهضة العامة للشعب الجزائري ويكفي دليلا على هذه القدرة أن الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة وأبا العيد دودو وغيرهم من كتاب القصة القصيرة والرواية والمسرحية فقد انتقلوا بعد سنوات قلائل منذ الاستقلال من الحديث عن الثورة وأحداثها إلى الحديث عن مشاكل الطبقة الكادحة"95

ولم يكن النثر الجزائري بمعزل عن المد الحداثي الذي شهدته الساحة الأدبية العربية نصّا ونقدا ن ،و "إن النثر الجزائري قد دخل عصر الحداثة حقا وبدأ يتطور بتطور المجتمع الجزائري من ذ بداية هذا القرن(ق20) ،أماقبل هذا القرن فإنه ظل فنا تقليديا لايختلف عن الشعر في مستواهع الفني إن لم يكن أمعن منه في التقليد وانعدام الأصالة"96

لقد شهد النثر الجزائرية قفزته الحداثية بعد الحرب العالمية الأولى واستحدثت فيه فنون جديدة كانت امتدادا للفنون السابقة ، ويرى النقاد أن"الأدب الجزائري الحديث وبخاصة النثر منه لم تظهر تباشيره الأولى إلا في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ولم تتضح معالمه إلا بعد الحرب العالمية الثانية ن وهذا للظروف الخاصة التي برزت بين الحربين وفي أعقابهما..هذه الظروف جعلت من الحتمي أن يجيل الأديب نظره فيما حوله وان يحاول التعبير صادقا عما يحس به ويحوطه من الملابسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية...على انه حتى في هذه الفترة ذاتها لم تتضح معالم النثر الجزائري الحديث تماما حيث ظلت كتابات العقبي والإبراهيمي والسعيد الزاهري والميلي وغيرهم كتابات تقليدية... "97 **مصايف النثر ص114** ، أما الكتابات الإسلامية الأخرى فكانت تسير في الخط التجديدي الذي كان يعو إليه

الأفغاني وعبده فلقد كتب ابن باديس والعقبي والإبراهيمي في العقيدة الإسلامية بأسلوب عصري يعتني بالفكرة قبل العبارة ويورد الموقف جليا في غير مبالاة بما قد يقال حول هذا الأسلوب وهذا الموقف 98"

95- محمد مصايف :النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص81.

96- محمد مصايف :المرجع نفسه، ص20

97-محمد مصايف:المرجع نفسه،ص114

98- محمد مصايف: المرجع نفسه،**ص 115**

، ويمكن الحديث حينها عن التحديثات الفنية والشكلية في النثر الجزائري الحديث ، من حيث لغته وأسلوبه أيضا ، حيث تغيرت طريقة التفكير فتغيرت طوعا لها طريقة الكتابة فأصبح من خصائص النثر في هذه الفترة الجديدة الانصراف إلى جلاء المعاني الجديدة ووضوحها وإلى العدول عن تحسين اللفظ وتبهيجه وهذا التطور في المعاني والأسلوب أخذ يظهر في الصحافة التي كانت عاملا من عوامل نمو اللغة وإعطائها المرونة والحيوية والتي يرجع إليها الفضل لظهور المقال الذي كان يحمل بذور القصة والذي كان أصحابه مثل"الزاهري"و"محمد الصالح رمضان" ومحمد العابد الجيلالي يريدون به إصلاح المجتمع"99

ويمكن القول بظهور هذه الأنواع النثرية الجديدة انعكاسا لهذا التطور والانفتاح على تجارب أدبية عربية وغربية"حتى أنه ظهر قبل ثورة فاتح نوفمبر من قصص أو صور قصصية على حد تعبير الدكتور ركيبي ومسرحيات ومناقشات حول موضوعات مختلفة ،لم يكن متيسرا ولا ممكنا دون هذه الجرائد" 100

لا يمكن أن نغفل عن الدور الكبير الذي لعبته الصحافة الوطنية والإصلاحية على وجه الخصوص في هذا التطور والانتشار للفنون النثرية الجزائرية في هذه الفترة،وبها عرف الكتاب طريقهم إلى الكتابة والانتشار ،و معظم هؤلاء الكتّاب كانوا ينشرون إنتاجهم في جريدة البصائر ،وجرائد أخرى وطنية أما المسرحية فلم تظهر في الواقع إلا ظهورا باهتا وذلك في الإطار التربوي الأخلاقي الاجتماعي الذي كان يعمل فيه أعضاء جمعية العلماء وهكذا نظم محمد العيد مسرحية(بلال) وكتب احمد بن ذياب مسرحيته الاجتماعية(امرأة الأب) وألف أحمد توفيق المدني مسرحيته التاريخية(حنبعل)"101 ، كما اتخذ كتابنا مواقف واضحة من الفن ومن المواقف الاجتماعية والحضارية ولهذا تكون الحداثة في النثر الجزائري الحديث قد أصبحت شيئا ملموسا واقعا لايشك فيه احد واتضحت معالمها قبل الحرب العالمية الثانية" 102

نتوقف في فقرة أخيرة في هذا المدخل ن عند أهم مضامين الفنون النثرية الجزائرية ، والتي تنوعت وتفاوتت في عمقها وطرق معالجتها من ناثر إلى آخر ومن حقبة إلى أخرى ، **و**"كانت مضامين أهم ماكتب في إطار هذا الأدب الجزائري الحديث تدور كلها حول القضايا الحضارية الحيوية التي كانت تشغل بال الشعب الجزائري لهذه الفترة ،من مثل قضايا الحرية والعروبة والإسلام والشخصية الوطنية والحياة اليومية والاجتماعية" 103 ، ويلاحظ الدارسون أن معظم الكتابات وبخاصة على الكتابات الأدبية

99- محمد الطمار : مرجع سابق ،ص523

100- محمد مصايف:مرجع سابق،ص115

101- المرجع نفسه،ص116

102- المرجع نفسه،ص 111

103- المرجع نفسه ص113

لرضا حوحو وسعد الله والركيبي هو أنها كتابات رومنسية في أسلوبها وروحها" 104 ، أما الرواية فلم تكن قد ظهرت بعد في شكلها الناضج ،وليست غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو والطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي إلا قصتين مطولتين ليس غير...ونحن نعرف ان الفرق دقيق جدا بين الرواية والقصة الطويلة وكثير من النقاد يعتبرونهما فنا واحدا ،والواقع أن الرواية ليست القصة الطويلة فهي أكثر تفصيلا وأوسع نظرة وأشمل في الزمان وفي المكان فإذا كانت الرواية تقدم حياة كاملة أو قطاعا كاملا من حياة بكل مايعتري هذه الحياة أو هذا القطاع من تقلبات ، فإن القصة الطويلة كثيرا ما تقتصر على جانب واحد من هذه الحياة أو هذا القطاع من الحياة بأسلوب خاص يجمع بين الإسهاب والاختصار بحيث تصبح معه هذه القصة في منزلة وسط بين الرواية والقصة القصيرة" 105

وإذا عدنا إلى الفنون النثرية بعد الاستقلال ،ومنها : فنون القصة والمسرحية والرواية والمقالة الأدبية النقدية التي أصابها تطور كبير بعد الاستقلال لم تخلق من العدم وإنها تأثرت قليلا أو كثيرا بما وجد منها قبل الاستقلال ...وحتى غن كان هذا التأثر ضعيفا فيما يتعلق بفنون القصة القصيرة والمسرحية والرواية باعتبار أن قليلا منها نشر في كتب قبل الاستقلال ،فإن هذا التأثر عظيم وحاسم فيما يخص المقالة الأدبية والنقدية والتي لاينكر أحد ازدهارها الشديد قبل الاستقلال "106

لة أجرينا مقارنة بين كتابة جيلي الشباب ومن سبقهم فإننا نلاحظ " على كتابات الشباب ميل إلى الخصوصية والتفرد وهذا في الموقف واللغة والنظرة معا وهكذا سوف يكون من الصعب على الباحث أن يضع في خانة واحدة منور وفاسي وبقطاش وبلحسن

وعلاوة وهبي،فهؤلاء الأدباء مثلا يشكلون على الأقل مجموعتين إن لم نقل اتجاهين ، فاعتدال فاسي ومنور وبقطاش يقابله ضرب من التطرف لدى بلحسن ووهبي ويبدو الاختلاف في الموقف كما يبدو في التعبير حتى إنه لتكاد تحس بنوع من الكلاسيكية الجديدة إن صح التعبير في كتابات منور وفاسي وبلحسن ووهبي مثلا أكثر حرية في مواقفهم ولغتهم" 107 ، ويمكننا ان نمثل لقامات النثر الجزائري بعد الاستقلال بأسماء منها لها وزنها الأدبي الفني ،فالطاهر وطار في رواية "الزلزال" وابن هدوقة في رواية "نهاية الأمس" غيرهما في "الطعنات" و"اللاز" و"ريح الجنوب"،و"الكاتب وقصص أخرى" هما غيرهما في المحاور والمواقف والأسلوب ،ومثل هذا يمكن أن يقال بالقياس إلى دودو في أعماله الأولى وأعماله الأخيرة وكما يدل هذا التطور على أن الأدب الجزائري قادر على التطور حسب الظروف الجديدة للمجتمع" 108

104- محمد مصايف.المرجع السابق،ص117

105-المرجع نفسه،ص118

106-المرجع نفسه،ص118

107-المرجع نفس ،ص ه123

108-المرجع نفسه،ص122

المحاضرة التاسعة:

الفنون النثرية(فن الرحلة والخطابة والمقالة والرسالة)

أولا- فن الرحلة:

عرف النثر الجزائري الحديث ألوانا نثرية عديدة ،ومنها فن الرحلة الذي يحسن بنا ان نتتبع بداياته وأعلامه وخصوصياته، وإنّ فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي فيه عموما فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم ، كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع وفي اكتشاف معالم وأقطار ووصفها ، والحكم عليها وعلى المجتمع فيها ،حكاما ومواطنين ،فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عب مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط يتآزر في ذلك الواقع والخيال وأسلوب القصص والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها" **109** ، ولم يلبث فن الرحلة في النثر العربي حتى شرع يعرف تطورا كبيرا ويتكرس كنوع أدبي في فجر النهضة العربية الإسلامية بعد انتهاء الفتوحات فتآزرت في ذلك المادة العلمية والإطار الأدبي" بن قينة98 ومن هؤلاء رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي، يستحسن بنا ان نذكر نماذج من فن الرحلة في النثر الجزائري :

- "رحلة ابن حمادوش الجزائري" المولود سنة1695م المسماة"لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"وقد باشر المؤلف كتابتها في1743م،وهي رحلة محشوة أخبارا وتعاليقَ ومقامات واستطرادات مختلفة"

- "رحلة (الورتلاني)أي الحسين بن محمد السعيد الشريف،المولود في بلدية بني ورتلان بولاية سطيف ،1713م،المعروفة باسمه"الرحلة الورتلانية"وبعنوانها أيضا'نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار'"

-"رحلة محمد الكبير ،باي الغرب الجزائري منتأليف كاتبه ومستشاره احمد بن هطال التلمساني، المتوفي 1804م،وهي خير خاتمة للقرن الثاني عشر(18م) وفاتحة للقرن الثالث عشر(19م) وقد كتب ابن هطال هذه الرحلة تنفيذا لرغبة الباي "110

كما لا يستحسن السكوت عن تلك الرحلات المشبوهة التي قام بها رحالون جزائريون بدوافع ومحفزات استعمارية ، ونخص بالذكر رحلتين معروفتين ، وهما 'الرحلة الصيامية' ورحلة' محمد السعيد' ، اللتين يقول فيهما الركيبي :" وكان يمكن لهذين الكاتبين أن ينقلا إلينا أشياء كثيرة ، من البيئة الفرنسية نستفيد بها مثل مافعل رفاعة الطهطاوي حين سافر إلى باريس عام 1826"111

109-عمر بن قينة:مرجع سابق ص99

110-المرجع نفسه:ص99-101

111- عبد الله الركيبي: مرجع سابق، ص49

ولكنهما اكتفيا فقط بتلميع صور المستعمر من خلال نقل مشاهد متطورة باسمة من الحضارة الفرنسية التي تحسن تشييد حضارتها وتهديم حضارة الآخرين نأما فيما يخص فن الرحلة في مرحلة الإصلاح فإن عبد الله الركيبي له رأي آخر ، حيث "يعتبر ما كتب رجال الإصلاح نوعا جديدا من أدب الرحلة ، وهو تعبير عن مشاهدات هؤلاء الرجال خلال تنقلهم عبر مدن الوطن وقراه ويرى أنه كان لهذه الرحلات غاية محددة (مصايف ص132)وهي"بث الحركة الإصلاحية ونشرها بين جماهير الشعب ودعوتهم إلى اليقظة والنهوض" **112** ، ويعد ابن باديس والإبراهيمي وأحمد رضا حوحو والغسيري أبرز رحالة جمعية العلماء... "113

يتوقف الركيبي عند رحلة حوحو لروسيا قائلا:" ولعله أول كاتب جزائري يذهب غلى هذا البلد الصديق وقد سجل حوحو في رحلته هذه ماشاهده من تطور حضاري وصناعي وتقدم ثقافي في روسيا وحاول أن ينقل صورة صادقة للبيئة الجديدة التي ذهب غليها ، ولذا فإن قيمة الرحلة في موضوعها ومضمونها وماقدمته من معلومات وأشياء جديدة.أما من جهة أسلوبها فإنه يغلب عليه اللون الصحفي ويبتعد إلى حد كبير عن الأسلوب الفني فهو يعتمد على المباشرة ومحاولة الوصول إلى الأفكار دون اعتبار للجمال الفني"114

رحلات القرن التاسع عشر:

يكاد يجمع الدارسون على تقسيم الرحلات الجزائرية إلى ثلاثة أقسام:الرحلة إلى الحج،والرحلة الجغرافية،والرحلة السياسية،- وتختلف هذه الرحلات في دوافعها وخصوصياتها ، مقاصدها وأساليبها أيضا

أولا:الرحلة إلى الحج.

من أشهر هذه الرحلات رحلة كتبها(محمد أبوراس الناصر الجزائري1737-1822م) بعنوان"فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته...رغم أن الرحلة عموما في صميم السيرة الذاتية لكنن بامتداد عان في كل الاتجاهات في الصلة بالمحيط والأوضاع الاجتماعية والتاريخية وسواها"115

112- عبد الله الركيبي :المرجع السابق، ص64

113- محمد مصايف :المرجع السابق، ص133

114- عبد الله الركيبي ،مرجع سابق، ص68

115- عمر بن قينة :مرجع سابق،ص105

ثانيا: الرحلة الجغرافية التاريخية.

نتوقف في هذاالنوع من كتابة الرحلة خلال هذا القرن و تأتي رحلة'الحاج بن الدين الأغواطي' بعنوان(رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية" وكل مايعرف عن ابن الدين هذا أنه من عائلة تحمل هذا اللقب بمدينة الأغواط في الجنوب الجزائري ، كتب الرحلة بالعربية في النصف الثاني من العشرية الثالثة من القرن التاسع عشر(في حدود 1826-1828-9م) ...وقد جمعت في مسارها بين الداخل والخارج فالرجل من مدينة الأغواط ولكنه يبدا بوصفه مدينة الأغواط نفسها بسورها المحصن ووواديها الذي يقسمها قبليا إلى فريقين وأبوابها ولغة سكانها العربية وملابسهم الصوفية ومنتوجها من التمر والعنب والتين وغيرها...وعكست الرحلة في النهاية كثيرا من الأوضاع المختلفة التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية"116

ثالثا: الرحلة السياسية:

في الرحلة السياسية أمامنا نموذجان يتكاملان ،اتجه صاحباهما إلى باريس أولاهما رحلة(سليمان بن صيام) سنة 1852م ، والثانية رحلة (أحمد ولد قاد) ولانعرف عنهما إلا أنهما من الأعيان،في الوطن الذين كانت سلطة الاحتلال الفرنسي تقربهم وترعاهم بالمناصب وتهيئ لهم الرحلات كي تستغلهم للتأثير على مواطنيهم لينصاعوا لإرادة الاحتلال ويكفوا عن كل أشكال الرفض والمقاومة"117 ، ومهما يكن من شيء فقد صورت هذه الرحلات في القرن التاسع عشر معالم ومواقف وعكست كثيرا مما رآه الرحالة سواء انفعلوا ب هاو وصفوه وصفا عاديا يخلو من حرارة التفاعل ومن هنا يمكن تسجيل ملاحظات كثيرة من ذلك مثالا لاحصرا:

- بداية تراجع المنحى التاريخي والجغرافي لدى كتاب الرحلات مفسحا المجال لجوانب أخرى سياسية وثقافية وعامة ، وتأتي هنا رحلة الأغواطي أقرب إلى الاستثناء لأن الهذف منها اقتضى ذلك.

-غلبة الطابع الذاتي والأدبي في كتابة الرحلة لصلات الرحالة بالمحيط والناس.

- شرعت الرحلة إلى الحج -كعمل مستقل- تتراجع لتغدو جزءا عاديا من الرحلة العامة في فترة مبكرة من القرن الثالث عشر الهجري(19م)

- بروز الرحلة إلى أوربا في قالب سياسي، يلاحظ الباحث التباين في مستويات الأسلوب الأدبي في هذه الرحلات**117**

116- عمر بن قينة.مرجع سابق ص111

117- المرجع نفسه،ص116

أما في القرن العشرين، فقد انتعشت الرحلة ، ونطالع أربعة رحلات في مطلع القرن ومنها:

(رحلة ابن باديس) إلى العاصمة التونسيةعام 1937

(رحلات أحمد توفيق المدني) إلى المغرب الأقصى عام ،1955 ثم القاهرة عام1956.

ثانيا ـ فن الخطابة:

الخطابة فن أدبي عريق عرف في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي ، وازدهر وتطور في العهد الإسلامي ، ومازال يحافظ على رونقه وخصوصياته إلى يومنا هذا ، وله خصوصياته ومقولاته وخطورته أيضا ، لمايكتنزه من محمولات وجدانية يواجه بها السامع والقارئ مباشرة، خطر الخطابة في الدعوة غلى الجهاد واستنفار الذين يحاربون الأعداء خاصة وان فترة الاحتلال كانت تساعد على هذا اللون من النثر"118 ، **و**الفرق بين خطب جمعية العلماء المسلمين وخطب رجال حزب الشعب "ومنشأ هذه التفرقة يأتي من أن الموضوع يختلف إلى حد ما ، فالطابع العام الذي تتسم به خطب المصلحين هو طابع الدين والوعظ والتركيز على فكرة الإحياء والرجوع إلى الماضي والدعوة غلى النهوض واليقظة ، بينما خطب رجال حزب الشعب يغلب عليها طابع السياسة والحماسة والانفعال القوي والهجوم على الاستعمار واعوانه والدعوة المباشرة إلى النضال من اجل الاستقلال"119 ر،، يعقد الركيبي مقارنة بين الإبراهيمي وابن باديس في هذا الفن ، متحسسا الفرق بين خطب الأديب وخطب المصلح " فالإبراهيمي أديب مصلح لاعالم مصلح فقط ،والفرق بين الأديب والعالم أن الأول يعبر عن مشاعره وعواطفه بلغة جميلة موحية وهدفه إحداث اللذة الأدبية والإمتاع إلى جانب فكرة معينة يهدف إلى تصويرها ، بينما تنصب عناية الثاني على الجانب العقلي والتفكير المتزن والوضوح في التعبير لابهدف اللذة الفنية وإنما بهدف توصيل الأفكار**120**

ثالثا- فن المقالة:

يعد فن المقالة من اعرق الفنون الأدبية عموما ن ومن أهمها في النثر الجزائري الحديث ،وقد مرت في نثرنا بمراحل وظروف وتطورات منذ بدايتها الأولى، كما ظهرت المقالة الأدبية والنقدية قبل الحرب العالمية الثانية وتطورت بعدها تطورا ملحوظا، ويكفي أن نقرأ ماكتب محمد البشير الإبراهيمي عن فصل الدين عن الحكومة وخصومته مع عبد الحي الكتاني ،وما دار حول مقال' مالهم لاينطقون' لعبد الوهاب بن منصور ، وماكتبه أحمد رضا حوحو حول الأدب والشعر ورسالة الفن في الظروف التي كانت تسود

118- عبد الله الركيبي تطور النثر الجزائري الحديث.ص12

119-المرجع نفسه، ص22

120- المرجع نفسه،ص27-28

المجتمع الجزائري ، يكفي أن نقرا اليوم هذه الكتابات لنرى كيف تطور النثر الجزائري في هذه الفترة"121 ، **و**" الملاحظ على معظم هذه الكتابات وبخاصة على الكتابات الأدبية مثل مقالات حوحو وسعد الله وركيبي هو انها كانت كتابات رومنسية في أسلوبها وروحها ولاغرابة فقد كان الأدب الجزائري لهذه الفترة يعيش مرحلته الرومنسية" 122

إنّ تطور فن المقالة كان أوضح وأسرع من فنون نثرية أخرى "وهذا لسبب واحد وهو ان فن المقالة الفكرية والادبية مرتبط ارتباطا عضويا بتطور المجتمع...ومما لاريب فيه أن المجتمع الجزائري قد تطور كثيرا في عهد الاستقلال ..كما أن فن المقالة الفكرية والأدبية كان أسرع من الفنون الأخرى إلى التكيف مع الظروف الجديدة الناتجة عن الاستقلال ، فإذا كانت القصة القصيرة ظلت سنوات بعد استقلال تعالج

أحداث الثورة وآثارها في المجتمع فإن المقالة استطاعت أن تنتقل بسرعة من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث عن آمال الشعب الجزائري في الاستقلال ونشاطاته المختلفة وهكذا نجد معظم الكتاب للسنوات الأولى من الاستقلال يهتمون بالعمل من اجل البناء ويولون تصحيح الأوضاع الوطنية والثقافية عناية خاصة...ومنهم على سبيل المثال أسماء: الميلي وشريط وركيبي والجنيدي خليفة وولد خليفة وعثمان سعدي والواقع ان كل هؤلاء قد أسهموا في تطوير المقالة الفكرية الأدبية لهذه الفترة "123 كما أنّ المقالة تطورت تطورا شديدا في السنوات العشر الأولى للاستقلال تطورت في محتواها حيث أصبحت تعالج قضايا أساسية هامة مثل قضية التعريب والثقافة الوطنية والسياسة الاجتماعية وما إليها من القضايا الآخرىن وتطورت في فنياتها حيث مالت إلى التركيز والوضوح في العبارة والسلاسة في اللغة دون الوقوع في مساوئ الشكلية كالتقعر والخطابة والغرابة ولا في النثرية الصحفية التي تعتبر اكبر عيب يمكن أن يلحق المقالة الفكرية والأدبية" 124

أهم المقالات في الصحف والمجلات:

1- البشير الإبراهيمي:

-الحقائق العريانة،البصائر،العدد الأول،1947

-استهلال ،العدد الأول 1947.

-121- محمد مصايف :مرجع سابق، ص116

122-المرجع نفسه،ص117.

123- نفسه نص126

124- نفسه،ص125

2-ابن باديس:

-سياسة وخز الدبابيز،الشهاب،جزء12،مجلد 11،مارس -حول كلمتنا الصريحة،الشهاب،جزء3نمجلد12،جوان 1936

-الشمال الإفريقي كيف يجب أن يعالج،الشهاب،جزء 9نمجلد 13،نوفمبر 1936

3-أحمد بن ذياب:

-جانب من الأمة،البصائر،عدد20،أكتوبر1947

4-عمر بن قدور:

-ليتقوا الله في طرابلس،الثقافة ن العدد الأول،مارس 1971

5-أبو اليقظان:

-مسالة فلسطين،الميزاب،عدد 14 كانون الثاني 1930

رابعا ـ فن الرسالة :

يتطرق عبد الله الركيبي إلى عوالم فن الرسالة ن خاصة على "عهد الأمير عبد القادر فيحصر هذا الفن في اتجاهين ، الأول ويمثله حمدان خوجة يميل فيه صاحبه إلى التعبير عن مشاعره وعواطفه نويستعمل السجع ويضرب المثل والحكمة ن ويمدح بالشريعة الإسلامية ، ويعني بالبديع والجناس ن والثاني ويمثله الامير عبد القادر في كتابه للفرنسيين وبخاصة الجنرال بيجو يختفي فيه كما يقول المؤلف(أسلوب السجع والبديع بشكل ظاهر وطوعت فيه اللغة للتعبير بسهولة ويسر وفي بساطة تجعل منها أداة مرنة صالحة لصيانة المعاني الدقيقة والأفكار العميقة "125 ، ونورد هنا مقطعا من رسالة حمدان خوجة التي سلمها مع نسخة من مذكرته إلى اللجنة الإفريقية في باريس يوم 26 أكتوبر 1833م "سادتي....

إني جزائري محب للإنسانية فمن واجبي –إذا-أن أتعرف قضية الجزائر وأغوارها ومصدر بؤسها وسبب الحرب فيها وحقيقة أوضاع شعبها قبل الاحتلال الفرنسي وبعده .

125- عبد الله الركيبي : المرجع السابق، ص38

لقد تجولت في أوربا كثيرا وقدّرتُ الأممَ الكبيرة الحرة لمنفعة الطباعة وجدارة الشعوب المتمدنة للصحافة والنشر ن ومما أثار دهشتي وأيقظ شعوري ونبه إعجابي عناصر الجود وعزة النفس وإضمار المحبة البشرية تلك كلها تتمثل في قيم الشعب الفرنسي ،أنا لا أتردد في إنارة الطريق لفرنسا من اجل مصالحها الأكيدة ولقد أوضحت في اللمحة التاريخية(يقصد كتابه المرآة) التي أزفها اليوم إلى الجمهور جميع الحوادث كما قد مرت بالجزائر ، إني اعتبر نفسي أسعد الناس على الإطلاق إذا استطاعت الدولة العظمى –التي أتوجه إليها بكل ثقة –أن تلقي نظرة محبة على أولئك البؤساء من أبناء وطني..

إن سمعة فرنسا ستعرض لأقوى خطر إذا كان مايجري في الجزائر –منذ ثلاث سنوات –سيبقى مستمرا ولقد أحس جلالة ملك فرنسا(هو لويس فيليب 1773-1850) بهذا الخطر وذلك مادفع به أن يسعى في تأليف لجنة للبحث في قضية مشكلة الجزائر ويوجهها غلى هناك ومن هذه اللجنة ينتظر انتصار العدالة الإنسانية ويأمل فيها إعادة المياه إلى مجاريها...

أيها السادة...تفضلوا أن تتقبلوا وضعيتكم وانظروا فيها بشفقة إنسانية ورحمة بشرية وعدالة اجتماعية ، إن تغيير نظام الحكم –في الجزائر – هو الوسيلة الوحيدة لإرجاع الأمن والاطمئنان والنظام وإحياء الثقة فيها من جديد ، وإن مساعدة أفكارهم السامية ضرورة عند التحكيم ،هذا وإن كل الجزائريين ليجعلوا كل آمالهم فيكم ن ويعلقون رجاءهم عليكم تفضلوا أن تلبوا رغباتهم التي هي –بعينها –رغباتي أنا ايضان وصدقوا بإحساساتي العميقة نحوكم وجميع احترامي لكم..."جورج إيفر:سي حمدان بن عثمان خودة،المجلة الإفريقية،1913،ص110 (نقلا عن نور سلمان،الأدب الجزائريص365)

أما النموذج الثاني الذي سنورده فهو رسالة الأمير خالد إلى"م.هيريو"سنة 1934

" سيادة الرئيس،

إن الجزائريين ينظرون غلى توليكم الحكم على انه طالع سعد ن وعهد جديد ،لدخولهم في طريق التحرر ، وباعتباري احد المدافعين المتواضعين عن قضية أهالي الجزائر منفيا ، لأنني دافعت عن مصالحهم الحيوية بصراحة ،فأن لي الشرف أن أقدم لرئيس الحكومة الفرنسية الجديد برنامج مطالبنا الأساسية:

1-تمثيل الجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي برتبة متعادلة مع الأوروبيين الجزائريين.

2- إلغاء كامل ونهائي للقوانين والإجراءات الاستثنائية وللمحاكم الرادعة وللمحاكم الجنائية وللرقابة الإدارية مع العودة البسيطة التامة إلى القانون العام.

3- نفس الواجبات ونفس الحقوق(للجزائريين) مثل الفرنسيين بخصوص الخدمة العسكرية.

4-ترقي الجزائريين إلى كل الدرجات المدنية والعسكرية دون أي تمييز ماعدا الجدارة والقدرات الشخصية.

5- تطبيق كامل لقانون التعليم الإجباري على الجزائريين مع حرية نشر التعليم

6- حرية الصحافة والاجتماع.

7- تطبيق قانون الفصل بين الكنيسة والدولة بالنسبة للدين الإسلامي

8- العفو العام

9-تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الجزائريين

10-الحركة المطلقة للعمال الجزائريين مهما كانت مراتبهم في الذهاب إلى فرنسا

وبالتأكيد ليس هناك تناقض بين هذه المطالب وبين البرنامج الليبرالي لوزارتكم وحزبكم فدعونا إذأ نحمل أملا راسخا في أن رغباتنا الشرعية المشار إليها سابقا ستحظى بتقدير عال.

وأرجو أن تتفضلوا سيادة الرئيس بقبول فائق تقديري

الأمير خالد(من المنفى)" (نقلا عن نور سلمان ص386)

تطرقنا في محاضرتنا هذه إلى بعض الفنون النثرية الجزائرية الحديثة التي تعد ركائز النثر الجزائري ، والتي أبدع فيها الكتاب الجزائريون وتركوا فيها بصمات واضحة في مضامينها وفنياتها ، وستبقى تؤرخ لمرحلة هامة من تاريخ الفنون النثرية الجزائرية الحديدة التي عرفت الطريق إلى التألق رغم كل الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية المحيطة بها.

المحاضرة العاشرة:

فـــن المسرحيـــــــــــــــة.

مثلما تأخر ظهور كثير من الأجناس الأدبية في الساحة الجزائرية فإن المسرح هو الآخر قد ظهر بعد فترة من ظهوره في المشهد الأدبي العربي ، و ذلك يرجع أساسا إلى أن المستعمر الفرنسي حال دون أي انفتاح جزائري على الثقافة و الفن الشرقي و حتى الغربي لدوافع بغيضة ، أما الركيبي" ويرد بدايات المسرح إلى أوائل العشرينات وذلك بمناسبة زيارة جورج ابيض وفرقته للجزائر"126 ،.، ويرى أحمد دوغان أ"المسرح العربي في الجزائر وهو جزء من النهضة الثقافية"127 حيث "كان المسرح الشعبي في الجزائر يعتمد أولا على الشخص واحد يمثل عدة شخصيات وكثيرا ماكان يقوم بألعاب سحرية وبهلوانية ثم تلاه مسرح خيال الظل ومن أبطاله(قرقوز)الماكر الطيب ،الذي كان يستعمل دوره لانتقاد السلطة الفرنسية بأسلوب ساخر وفي جو من التهريج والاستخفاف فمنع الفرنسيون مسرح خيال الظل في مدينة الجزائر سنة 1843 ولكنه بقي يمثل على مسارح أخرى في مناطق البلاد حيث سلطة الرقابة أقل مما هي عليه في العاصمة وذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر"128

و لا شك أن البدايات الأولى لفن المسرح في الجزائر قد مهدت لها نشاطات فنية تقارب المسرح آداء و تمثيلا " حيث ظهرت لعبة القراقوز كشكل مسرحي في بعض الأحياء الساحلية القريبة من الموانئ الجزائرية (ميناء الجزائر – عنابة) (...) غير أن هذا الشكل الفني سرعان ما توقف حيث قامت السلطات الاستعمارية بإصدار قرار بوقف تقديم حفلات القراقوز ، و اعتبرته أحد العوامل الأساسية المحفزة على الثورة ضد وجودها ". وعرفت الجزائر القراقوز سنة 1835 كما يرى محمد الطمار ،..." ولكن

126- عبد الله الركيبي ،رجع سابق، ص 216

127- أحمد دوغان :مرجع سابق،ص121

128- نور سلمان :مرجع سابق ص164

129-محمد بوكروحك ملامح عن المسرح الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1982،ص12

مايسمى بالفن القراقوزي كان العامة يقومون به ليس في رمضان فقط وإنما في أيام الحج والأعراس وعاشوراء وفي حفلات الذكر لدى الصوفية "130.....و لكن هذا لم يكن مانعا أبدا للرغبة الجزائرية في المسرح و عوالمه المميزة ، إذ إن هناك عوامل كثيرة حفزت المسرحيين الجزائريين على مواصلة الكتابة و الترجمة و التمثيل ، و لا شك أن للفرق المسرحية العربية الوافدة إلى الجزائريين الحين و الآخر ، دورا هاما في تحريك الفعل المسرحي بالجزائر حيث " يشكل المسرح الجزائري أحد الأركان الأساسية في مسار الثقافة الوطنية ، من حيث ارتباطه بمسيرة المجتمع الجزائري من خلال القضايا التي طرحها " 131) و من أهمها الجانب التحرري و الإصلاحي على وجه الخصوص ، " وفي أثناء الثورة الوطنية نشر الأستاذ الركيبي تمثيلية تحت عنوان"مصرع الطغاة" في اربعة فصول تدل دلالة واضحة على تقدم هذا النوع من الأدب العربي في الجزائر ،...وبعد الاستقلال زودنا'الجنيدي خليفة' بمسرحية اجتماعية في أربعة فصول تحت عنوان'في انتظار نوفمبر جديد' ولأبي العيد دودو مسرحية بعنوان'التراب' والأستاذ واضح هو الآخر كتب مسرحية في ثلاثة فصول تحمل عنوان 'بئر الكاهنة' ن وظهرت مؤخرا مسرحيات: الأولى لعبد الرحمن مضوي بعنوان'يوغرطة' والأخرى للطاهر وطار بعنوان'الهارب"132 كما نظم محمد العيد آل خليفة مسرحية"بلال" وكتب أحمد ذياب مسرحيته الاجتماعية' امرأة الأب'" وألف أحمد توفيق المدني مسرحيته التاريخية'حنبعل ، وكل هذه المسرحيات لم تكن ناضجة فنيا ولم يكن هذا النضج ممكنا في إطار النظرة القاصرة التي كانت لهؤلاء المؤلفين عن فن المسرح ،فهذا الفن لم يكن في نظر هؤلاء إلا لخدمة المجتمع أخلاقيا ودينيا واجتماعيا وهو ماجعلهم يكثرون في مسرحياتهم من الحكم والمواعظ والعبر التاريخية ولكن هذا لايمنعنا من ملاحظة ظهور المسرحية الجزائرية في هذه الفترة "..."و في مرحلة متقدمة من تطور المسرح الجزائري بدأ يعتمد على الترجمة

130- أحمد دوغان:مرجع سابق، ص252

131- محمد بوكروح: مرجع سابق، ص25

132- محمد الطمار :مرجع سابق ص526

133- محمد مصايف:مرجع سابق ص116

134-محمد بوكروح :مرجع سابق، ص65

والاقتباس " ، و لعل أبا العيد دودو أحد أهم مترجمي المسرح في الجزائر و من ذلك مسرحية " الضيف الحجري " لبوشكين 135

و إذا كانت هناك جهود كثيرة للنهوض بالمسرح الجزائري فإن هناك مشاكل كثيرة كانت تعيق هذه النهضة و " إن أهم مشكل عانى منه المسرح الجزائري منذ نشوئه تمثل في مشكل النص ، خاصة الجيد منه (خاصة و أن) النص المسرحي ارتبط ارتباطا وثيقا بالعرض " 136 ، و لا شك أن الحديث عن مشكل النص المسرحي و جودته يطرح إشكاليات عديدة ، أولها التجربة الفتية للمسرح الوطني من جهة ، و ضرورة المرور بمراحل كثيرة للوصول إلى مسرح قوي هادف محترف فعلا ، و من جهة ثانية قضية المؤداة بلغة فرنسية و لكن اللغة التي يكتب بها هذا المسرح ، ففي الفترة الاستعمارية كانت النصوص المحاولات الجزائرية كانت باللغة العربية ، و رغم ذلك فلا يمكن إنكار أن " من أهم القضايا التي أثارت نقاشا واسعا و حادا (...) هي مشكلة اللغة التي يجب استعمالها في المسرح ، فقد رأى البعض أن استعمال الفصحى هو الطريق الوحيد إلى التخاطب في ميدان المسرح " 137 ، لأسباب عديدة منها النهوض باللغة العربيةالفصحى بعد أن حاول المستعمر طمسها و القضاء عليها بوصفها مقوما للأمة الجزائرية ، " و قد رأى فريق آخر أن استعمال اللغة الفصحى لا يمكن سيما في هذه الظروف التاريخية التي تمر بها مجتمعاتنا " 138 ، و لكن مهما قيل عن مستوى المسرح الجزائري ، و عوائق نهضته و الاختلاف في شأن لغته فإن " الأعمال المسرحية التي كان يقدمها المسرح الجزائري كان محتواها جزائريا شعبيا محضا ، و لعل أوضح دليل هي اللغة التي استعملها المسرح الجزائري و هي اللغة العربية " 139 ،ولا أظن ان إشكاليات مسرحنا الجزائري المعاصر مرتبطة باللغة العربية الفصحى أو العامية بقدر ما هي مشكله اقتراب النص من الواقع المعيش للمجتمع الجزائري وعمق التعبير عنه مهما كانت اللغة التي يؤدى بها .ولو بلهجاتنا المحلية المختلفة .

135-(135) ألكسندر بوشكين: الضيف الحجري، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1976.

136- محمد بوكروح:مرجع سابق،ص55

137- المرجع نفسه،ص58

138- المرجع نفسه،ص58

139- المرجع نفسه،ص13

نماذج مسرحية:

(مصرع الطغاة 1959) لعبد الله الركيبي، وكتبها ونشرها بتونس عام 1959، جاءت في 68 صفحة ، " تدور أحداث هذه المسرحية في الجزائر أثناء فترة الاستعداد للثورة ثم تتابع أحداث المعركة التحريرية ، إلى نهايتها المحتومة'مصرع الطغاة' '(أبو القاسم سعد الله ن تجارب في الأدب والرحلة123)

(التراب 1966) أبو العيد دودو ، وقد أبدى فيها ابو القاسم سعد الله ملاحظات عديدة منها:" إن أول مايلاحظ على المسرحية هو طولها ،إنها تتجاوز معدل زمن المسرحية الذي هو عادة ساعة ونصف أو ساعتان ، وقد نتج عن طول الحوار رتابة في بعض المشاهد ،من ناحية الإطار العام فإني لاحظت أن هناك نقصا في وصف الأشخاص.."(سعد الله .تجارب في الأدب والرحلة ص130)

وستبقى آمالنا في المسرح الجزائري كثيرة خاصة في السنوات الأخيرة إذ عرفت الساحة المسرحية ميلاد نصوص جزائرية محلية كثيرة لعلها توقف هذا الاجتياح بالاقتباس من النصوص العالمية ، و"نتمنى أن يتقدم مسرحنا تقدم القصة القصيرة فيصبح قادرا على إبراز الصورة الحقيقية لواقع حياة المجتمع الجزائري بجميع مشاكلها ،فليس الغرض منه التسلية فقط بل توجيه الشعب أيضا وعلاجه من الأمراض الاجتماعية التي تلم بجميع طبقاته والصعود به إلى الكمال اجتماعيا وفكريا"(محمد الطمار /تاريخ أ ج ص525)

فن القصّـــــــــة

لقد شغف الإنسانُ اهتماما بالقصص منذ القديم حيث نجد أن «القصة بمفهومها العام شديدة الصلة بحياة الإنسان اليومية منذ فجر التاريخ ، فلا تكاد تخلو منها حياة أي شعب من الشعوب سواء كانت مدونة أومروية شفاها»[1]، و ذلك لأنّها كانت تُعنى بسرد تفاصيل الحياة ، و تصويرِ أنماط معيشة الأمم و الشعوب، وحفظ آثار و أيّام الأجيال السابقة .إذا كانت الفنون الأدبية على اختلافها و تنوّعها تؤثّث المشهدَ الأدبيّ لكلّ عصر، فإنه يمكن القول بأنّ القصّة « تمثل موقفا من الحياة أحسن ما يمثله الشعر أو المسرحية»[2] ، من حيث إنها تقترب من واقع الإنسان فتعكسه عمقا و لغة ، بعيدا عن غموض الشّعر ، و رمزيّة المسرح.

قبل أن نلج عوالمَ القصّة الجزائريّة القصيرة ، بكلّ تفاصيلها ، فإننا نحاول الوقوف عند حدود تعريف هذا الجانب الأدبيّ الهام ومن هذه التعاريف نذكر أنّ «القصّة عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب ، أو تسجيلُ صورة تأثّرت بها مخيّلته ، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره ، أو كل أولئك مجتمعين ، فأراد أن يعبّر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القراء ، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه»[3] ، كما قد يعبّر بها صاحبها عن عواطف و خلجات غيره ، عندما يتمثل انشغالاتِهم و أحاسيسَهم ، إذ الكتابة فعلٌ ذاتيّ لكنْ في رؤى و طروحات جمعيّة، غيريّة،كما أنّ «القصة هي سرد حوادث متسلسلة تجري لأشخاص مختلفين في بيئة معينة»[4]، فتصوّر واقعهم وتذكُر وقائعهم بروح فنيّة ومسحة جمالية وذلك أنّ «القصة روح قبل أن تكون مظهرًا،وفكرةٌ قبل أن تكون حادثة»[5]: وهو ما يوجب على من اتخذها خيارا أن يُلمّ بكل جمالياتها، علّه يصيب منها شيئا مما يتوقّعه القارئ.

نبقى في حدود المصطلح دائما وقبل تتبّع السّوابق التّاريخية لهذا الجنس الأدبيّ، يمكن القول«إن مصطلح"القصة القصيرة"لم يتحدد كمفهوم أدبي إلاّ عام 1933مفي قاموس أكسفورد»[6]،وهذا لا يعكس تماما تاريخية هذا الجنس الأدبي،فلقد عُرِفت القصّة منذ القديم عند كلّ الأجناس البشريّة.

أما العرب «فكان لم قصص عربي آخر واقعي،ويتمثل في أيام العرب،ويدورحول وقائعهم الحربية»[7]كقصة عنترة العبسيّ، و"زنوبيا "ملكة تدمر.وحين ظهر الإسلام لم تنقطع روابط المسلمين

---

[1]- محمد الصديق باغورة : ملاحظات عامة في القصة الجزائرية، محاضرات الملتقى الأول للأدب و الفكر سيدي بلعباس، أيام 25/24/23 ديسمبر 2008، ص30

[2]- فرانك أوكونور : الصوت المنفرد، ص 23.

[3]- عبد العزيز شرف : الأسس الفنية للإبداع الأدبي ، دار الجيل – بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص 155.

[4]- علي بوملحم : في الأدب و فنونه ، ص 120.

[5]- علي بوملحم:المرجع نفسه ، ص 129.

[6]- خليل إبراهيم أبو ذياب : دراسات في فن القص ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية (د ط-دت) ، ص 11.

بالقصة، حيث عزّز القرآن حضورَها،وضَمن بقاءَها لديهم، فحينما «أدرك القرآن دورَ القصة في إثارة الوجدان، وتحريك العواطف، وجذب انتباه القارئ و السامع، فجعلها إحدى وسائله في تحقيق غاياته، من إثبات الوحي، وتأكيد الرسالة، وتأصيل الدعوة الإسلامية»[8]، على الرّغم من أنّ القصص في القرآن الكريم لم ترِد كلُّها عملا فنيّا مستقلا عَدَا قصة سيّدنا يوسف عليه السلام.

أمّا في أدبنا العربيّ فإنه «لم تنشأ القصة من أصل عربي كالمقامات والقصص الحماسية، والحكايات والأمثال والخرافات والأساطير والنوادر، وإنما ترعرعت بتأثير من الأدب الأوربي مباشرة»[9]،وذلك عن طريق التّرجمة ومن أمثلة ذلك قصص المنفلوطي.. «وكانت الجزائر آخر من لحق بالركب القصصي القصير، وتقدم لنا في هذا المجال ثلاثة قصّاص: أبو العيد دودو(...) والطاهر وطار(...) وأحمد منور(...)»[10]، وغبرهم، ونحن نحاول أن نتطرّق إلى تاريخ القصّة الجزائرية القصيرة، من حيث نشأتها وتطوّرها، روّادها وأعلامها، أشكالها ومضامينها على مدى ثمانية عقود من ظهورها.

ولقد تأخّر ظهور القصّة القصيرة في الجزائر مقارنة بظهورها في دول عربية أخرى،وقد عدّد الدارسون والمتخصّصون أسبابا كثيرة لذلك، فلقد «نشأت القصّة القصيرة الجزائرية متأخّرة بالنّسبة إلى القصّة في العالم العربيّ، نتيجة وضع خاصّ وظروف عرفتها الجزائر دون غيرها من الأقطار العربية، وقد أحاطت هذه الظّروف بالثّقافة العربية في الجزائر فأخّرت نشأة القصّة»[11]،وكان المستعمر الفرنسيّ العائق الأكبر، والسّبب الأوّل في هذا الحصار المضروب على ثقافتنا العربية في الجزائر،وعلى كل ما يسهم ويساعد في تطوّرها وتفعيلها.

وعندما ظهرت القصّة القصيرة في الجزائر وذلك في أواخر العقد الثالث من القرن الماضي كانت «القصة في المشرق العربي قد قطعت شوطا طويلا ورسّخت أقدامها بفضل أدباء مشهورين أمثال تيمور وعيسى عبيد(...) وإبراهيم المصري وغيرهم»[12]،كما كان لتأخّر القصّة القصيرة في الجزائر أسباب أخرى، و لعلّ «السبب الرئيسي لهذا التأخر هو الضعف الثقافي بصفة عامة.الذي كانت تعيشه الجزائر في هذه المرحلة بسبب انقطاعها عن المنابع الحية للثقافة العربية»[13] إذ لم يكن المستعمر ليسمح للجزائريين عموما، والمثقفين خصوصًا بالاحتكاك بغيرهم، أو فتحِ جسور الاتصال بهم، وذلك اعتقادًا منه بوأد ثقافتنا العربية الإسلامية،وتقويض لمحليتنا، عاداتنا و تقاليدنا، حيث «كان من الممكن أن تستفيد القصة الجزائرية

---

[7]- الطاهر أحمد مكي : القصة القصيرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 ، 1992 ، ص 23.
[8]- الطاهر أحمد مكي : القصة القصيرة ، ص 26.
[9]- الطاهر أحمد مكي: المرجع نفسه ، ص 109.
[10]- الطاهر أحمد مكي: المرجع السابق ، ص 128.
[11]- عبد الله ركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ط 3 ، 1977 ، ص 10.
[12]- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 144.
[13]- مصطفى فاسي : القصة الجزائرية القصيرة ، مجلة الثقافة ، عدد 18 ، ديسمبر 2008 ، ص 88.

من القصة العربية في غير الجزائر»[14]، و لكن«لم يكن بإمكان القصة الجزائرية أن تولد وتنمو ولادةً ونموًّا طبيعيين في بلد صبّ فيه الاستعمار على اللغة العربية والثقافة العربية كل ما في جعبته من وسائل الضغط والقهر لمحوها والقضاء عليها..لهذا كان طبيعيا أن تتعثر القصة في نشأتهاوتطورها»[15]، لهذه الدوافع والأسباب .

إنّ من أسباب تأخر ظهور القصة القصيرة في الجزائر،النظرة والفهم لمعنى الأدب في الجزائر من طرف الكتاب و المبدعين «فقد كان مفهوم الأدب هو الشعر والشعر فقط، وكان الأديب هو الذي ينظم الشعر، ويتقن صناعته، وفي ظل مفهوم كهذا كان من الصعب أن توجد القصة كفن متميّز له لونه و سماته الخاصة»[16]، إذ كان ذلك يتطلّب جهدا أكبر من طرف كتّاب هذا الجنس الأدبيّ الفتيّ حينها، ويتطلب أيضا إيجاد أسباب واستغلال كلّ العوامل المساعدة على تطوّر هذا الفن.

وبالفعل فقد «وجدت عوامل أخرى ساعدت القصة على الظهور والتطور لعلّ من أهمها الاتصال بالمشرق العربي(...) كذلك اتصال الجزائر بباقي أقطار المغرب العربي التي لم تمر فيها اللغة العربية – لحسن الحظ- بالظروف التي مرت بها في الجزائر»[17]. ومن ثمّ بدأت تتشكّل أرضية قصصية،ولكن غير بارزة المعالم، إذ لا يمكن الحديث عن فنّ قصصيّ واضح، بكلّ فنيّاته وجماليّاته، «فالقصة الجزائرية ظهرت في شكلها البدائي (المقال القصصي/ الصورة القصصية) وقد ظهرا معًا في أواخر العقد الثالث]من القرن الماضي[أما القصة الفنية فلم تظهر بدايتها إلا بعد الحرب العالمية الثانية و تطورت بعد ذلك»[18].

وتذهب عايدة أديب بامية إلى أنّ «أول قصة قصيرة هي "دمعة على البؤساء" كتبها علي بكر السلامي»[19]، وقد جعل بعضُ الدارسين قصةَ "فرانسوا و الرشيد" للكاتب محمد سعيد الزاهري أوّلَ قصّة جزائريّة ظهرت على صفحات الجرائد.وإذا كانت محاولات "علي بكر السلامي"، و"محمد سعيد الزاهري" خطوتين بسيطتين في التجربة القصصية، فإنّ القصّة «لم تظهر في واقع الأمر بصفتها شكلا أدبيّا فنيّا يفرض وجوده إلاّ ابتداءً من بعض محاولات الأديب المعروف رضا حوحو الذي بدأ يكتب في الثلاثينيات»[20] من القرن الماضي. وقد ساعده في ذلك «اطلاعه على نماذج عامة من القصة الغربية وخاصة منها الفرنسية،مع الإشارة إلى أنه كان يحسن الفرنسية التي ترجم منها بعض النصوص،وأعاد

---

[14]- عبد الله ركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، ص11.
[15]- عبد الله ركيبي: الأورا س في الشعر العربي و دراسات أخرى ، ص 143.
[16]- عبد اله ركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، ص 146.
[17]- عبد الله ركيبي : المرجع نفسه ، ص 146.
[18]- مصطفى عبد الشافعي : ملامح من أدبهم القصصي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية 1998 ، ص 162.
[19]- عايدة أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري (1967-1925) ، ترجمة محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1982 ،ص 07.
[20]- مصطفى فاسي : القصة الجزائرية القصيرة ، مجلة الثقافة ، ص 199.

كتابة بعضها الآخر في شكل قصة»[21]، وهذا كلّه يكشف عن إمكانات ساعدته في الاطّلاع على إنتاج الآخر،والإفادة منه.وإذا كان هذا الشّأن بالنسبة إلى "حوحو" فإنه لم يكن ينبغي لكثير من معاصريه، خاصّة مع الحركة الإصلاحية إذ «حين بدأت القصة في الثلاثينيات على أيدي كتاب الإصلاح بدأت في صورة بدائية، تبعد بها كثيرا عن القصة بمفهومها الفني الحديث، بدأت في صورة مقال يحمل بذور القصة ولكنه لا يعدّ قصة فنية، بل نشأ متأثرا بالمقال الديني الإصلاحي في شكله ومضمونه،ولم يكن الهدف منه هو الفن وإنما مجرد ثوب جذاب تلبسه الأفكار الإصلاحية»[22]، إذ يمكن الحديث في هذه المرحلة عن قصة "مؤدلجة"، غلب فيها الموضوع/ المضمون الإصلاحي وأفكار الإصلاحيين على فنيةِ و جمالية هذا الفنّ الأدبيّ، حيث «اتّخذت هذه النّشأة القصصية الأولى المتعثرة طابعا إصلاحيا صريحا»[23]، حال بشكل أو بآخر دون اكتمال فنيّ للقصّة القصيرة و لو ظرفيا.

عرفت الفترة التالية لظهور القصة القصيرة تطوّرا ملحوظا،وبالضبط في العقد الرّابع من القرن الماضي حيث نجد أنّ القصة القصيرة «لم تأخذ شكلها القريب من الناحية الفنية إلا في الأربعينيات ومن هؤلاء الذين اشتهروا في تلك الفترة "محمد سعيد الزّاهري" و" محمّد العابد الجيلالي" و"عبد المجيد الشافعي" وأحمد رضا حوحو"»[24]، وغيرهم من الذين اشتغلوا على كتابة القصة في هذه الفترة ففي «أواخر الأربعينيات، أخذوا يحاولون كتابتها بالفعل، وبهذا وضعوا لبنة أساسية في هذا الفن»[25].

يبدو لنا من خلال تتبّعنا لنشأة القصّة الجزائرية القصيرة أنّ تطورها واضح متدرّج نحو الفنّية والاكتمال من عقد إلى آخر، فلا غرابة أن يكون العقد الخامس من القرن الماضي فترةً هامّة ساعدت على تطور هذا الفنّ، «وذلك لأنه نشأ لدى الكتاب في ذلك الوقت الحافز الفني لكتابة القصة، فأصبح الكاتب يحاول تحقيق وجوده وذاته بعد أن كانت كتابة القصة إما لملء الفراغ أو مجرد التجربة»[26]، كما أنّ عوامل كثيرة ساعدتوأسهمت في هذا التطور في كتابات القصّاصين،حيث إنّ «الاطلاع على الأدب العربي، وكذا على الأدب المترجم وخاصة عبر المجلات الأدبية أتاح لمجموعة من الطلبة المهتمين والموهوبين في مجال الأدب الاطلاعَ والاستفادة قبل أن يتّجهوا بعد ذلك إلى ممارسة الإبداع»[27]، وهذا ما كان دليل إيجاب،وذا انعكاس فنّي و جماليّ على النّص القصصي.

ولعلّ المتتبّع لسيرورة القصة الجزائرية سيعرف مدى تأثير الثّورة التحريرية الكبرى في القصّة، ومساهمتِها بصفة فعّالة في تطويرها، وإعطائِها دفعا قويّا في مسيرتها ومسارها، فعندما اندلعت الثّورة

---

[21]- مصطفى فاسي :المرجع نفسه ، ص 119- 120 .
[22]- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ، ص 145.
[23]- عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995 ، ص 169.
[24]- أحمد دوغان : في الأدب الجزائري الحديث ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط1996،1 ، ص 165.
[25]- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 172.
[26]- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ، ص 147.
[27]- مصطفى فاسي : القصة الجزائرية القصيرة ، مجلة الثقافة ، ص 120.

«تغيّر كلّ شيء فوق الأرض، ومعها مفهوم القصة الجزائرية بمفهومها السليم، بل كانت الطّفرة التي نقلت القصة من الموضوعات المادية المستهلكة إلى المضامين الثورية المنفعلة بالواقع الجديد، فالقصة الجزائرية لم تتضح فعلاً ولم تتوفر لها عناصر الفن إلاّ أثناء الثورة وبسببها»[28].

لم يكن تأثير الثورة في القصة القصيرة موضوعاتيا –فحسْب- أو من حيث تغيّر وتجدّد مضامينها ولكن من حيث إنّ «القصة قد خطت خطوات هامة نحو النضوج الفني(...) متخلية بذلك عن تلك المحاولات القصصية البسيطة»[29] لتجدّد وتتجدّد في أشكالها و مضامينها، لتكتسب قدرا هامّا من الفنّيّة، وتكون بذلك قادرة على تحقيق اكتفاء جماليّ للقارئ/ المتلقّي. حيث يمكن الحديث عن هذا التفاعل بين الثّورة والقصّة بثورة القصة /قصة الثورة، فقد «أدّت الثورة المسلحة إلى ثورة شاملة في الفكر و السياسة و المجتمع»[30]، وهو ما أدي إلى ثورة في القصةالجزائرية القصيرة بالفعل، «وقد وجد الكتاب فيها المنبع الخصب الذي يغترفون منه فاستمدوا منها أبطالهم، من دنيا الواقع وسط الدم و اللهب»[31]،وقد كان قبْلَها البطلُ خياليّا،لا وجود له في أرض الواقع تمامًا،والبطل أيضا في قصة هذه المرحلة «صار ممثّلا لفكرة وطنية»[32]تتعلّق بتحرير الوطن، والدّفاعِ عنه وحمايتِه. كما «عمّ جوّ الثورة كافة الإنتاج الأدبي ومن بينه القصة القصيرة التي استمدت مادتها من وحي الثورة، فقد حاول الكتاب رفع مستواها الفني حتى تبلغ مستوى الثورة في صفاتها، وتتماشى مع جوهرها الأسمىوأهدافها الإنسانية التي قامت من أجلها»[33].

ومن هنا يمكن القول بأنّ الثّورة التّحريريّة كانت مرحلةَ الانطلاق الفنيّ للقصّة القصيرة، وأساسًا لبنائها بعد ذلك، «فمرحلة التأسيس في خضم الثورة أعلنت ميلاد قصة قصيرة جزائرية مصبوغة بطابع الثورة في كثير من مضامينها»[34]، وجعلت الأقلامَ القصصيةَ بعد ذلك تتّكئ على مرجعيّة فنيّة صلبة في مجال القصة القصيرة،وهو ما انعكس بالفعل على النصوص القصصية بعد الاستقلال، خاصةوأنّ الجزائر أصبحت تنعم بحريتها، وبدأت تتهيّأ للقصة القصيرة ظروفٌ و عواملُ نجاح و استمرار و تطوّر كثيرة، حيث «تطورت القصة القصيرة ما بعد الاستقلال بفضل حالة الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي ظهرت معه مؤسسة قوية فاعلة (وزارة الثقافة، اتحاد الكتاب، هياكل ثقافية، ملاحق مختصة، جوائز»[35]، كلّ هذا جعل من الحياة الثقافية عموماوالأدبية خصوصا أكثرَ تطورا.

---

[28]- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ، ص 148.
[29]- مصطفى فاسي : القصة الجزائرية القصيرة ، مجلة الثقافة، ص 121.
[30]- محمد الطمّار : تاريخ الأدب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 ، ص 523.
[31]- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ، ص 168.
[32]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط5 ، 2007 ، ص 59.
[33]- عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص 53.
[34]- حاج محجوب عرايبي : دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، منشورات إبداع ، ط1 ، 1993 ، ص 58.
[35]- محمد رابحي : راهن القصة القصيرة في الجزائر ، محاضرات الملتقى الأول للأدب و الفكر ،سيدي بلعباس ، أيام 23-25 ديسمبر2009 ، ص 23.

و قد «تعددت مواضيع القصة الجزائرية بعد الاستقلال بين الثورة كماضٍ، و الثورة كحاضر، و الهجرة إلى المدن أو إلى الخارج، والمشاكل الاجتماعية التي ظهرت مع الأحداث الجديدة، والتطورات التي حدثت في المجتمع الجزائري»[36]، وهو ما أكسب القصةَ القصيرة واقعيةً وصدقا في الطّرح، ومقاربةً لأبسط ظروفوانشغالات الفرد الجزائري، والمجتمع عموما في تلك الفترة.

أما في السّبعينيات فقد «ظهرت أسماء جديدة لديها الإرادة و الطموح، بل تملك ثروة ثقافية تمكنها من العطاء والإبداع»[37]، وكان لهذه الثورة الثقافية انعكاس على النّصوص القصصية التي كتبت في هذه الفترة .وفي مقاربتنا لواقع المشهد القصصي في هذه المرحلة يمكن القول :لقد «تميّزت قصّة جيل السبعينيات في الجزائر بتعدد موضوعاتها و تنوعها، وبجديتها إلى درجة أن كتابها الشباب كادوا ينسون همومهم ومشاكلهم الخاصة، والمواضيع التي تخصهم كموضوع الحبّ، و راحوا يكتبون في الأمور والقضايا الكبرى التي تهمّ وطنهم بصفة عامة، كما لم ينسوا أن يتناولوا في بعض قصصهم القضايا العربية»[38]، لأنّ بينهم وبين غيرهم من الشعوب العربية أواصرَ متينة ،يمكننا الحديث عن ملامح التّجريب في القصة القصيرة خلال هذه المرحلة حيث إنّ هناك من الكتاب من «لجأ إلى استخدام الأسطورة،والحكاية الشعبية أوالقصص الشعبي العربي القديم، وهناك تجارب قصصية قليلة استخدمت أيضا الخيال العلمي»[39] ومن أمثلة ذلك قصة "المصاصة" لمحمد الصالح حرز الله، وقصة "جفاف الآبار الأورتوازية" لجيلالي خلاص ، أمّا قصة الجيل الجديد الذي بدأ يظهر مطلعَ الثمانينيّات «فهي تتصف بثوريتها على الشكل الكلاسيكي للقصة القصيرة، و اقترابها من فنون تعبيرية أخرى مثل الشعر الذي تحاكي لغته، و فن السينما الذي تحاكي مقاطعه، والفن الدرامي الذي تحاكي مشاهده»[40].كما أنّ لأحداث أكتوبر 1988م تأثيرا واضحا على مسار الحركة الأدبية في الجزائر، وعلى القصة القصيرة بصفة خاصة حيث «يجب النظر إلى انتفاضة أكتوبر 88 كمرحلة ثالثة في تاريخ الأدب الجزائري(...) عملت على تعميق الإشكالية الأدبية عمومًا، ومنها إعراض الجيل الجديد عن سابقه،الذي تحوّل من إعراض أدبيّ إلى إعراض سوسيولوجيّ إيديولوجيّ، ويصبح حضور القصة القصيرة في هذه المرحلة مرهونا بالذهنية السائدة»[41]، لذا حاول كتّاب القصّة حينها العمل على التخلص من النّمطية والأبويّة التي رأوا فيها حدودًا يجب تجاوزها، فراحوا يجرّبون أساليب جديدة، وأشكالاً غير مطروقة من قبْل، كالقصة القصيرة *جدًّا،وتقسيم القصّة إلى أجزاء،وإضافة عناوين ثانوية للعناوين الفرعية

---

[36]- محمد الصالح خرفي : بين ضفتين ، ص 17.
[37]- أحمد دوغان : في الأدب الجزائري الحديث ، ص 168.
[38]- مصطفى فاسي : القصة الجزائرية القصيرة ، مجلة الثقافة ، ص 127.
[39]- - مصطفى فاسي : المرجع نفسه ، ص 123.
[40]- مصطفى فاسي القصة الجزائرية القصيرة ، مجلة الثقافة، ص 129.
[41]- محمد رابحي : راهن القصة القصيرة في الجزائر ، محاضرات الملتقى الأول للأدب و الفكر ،سيدي بلعباس ، أيام 25/24/23 ديسمبر2009 ، ص 23.
* ينُظر مقالنا : "أكتوبر 88 ، الثورة الأدبية الثالثة" ، يومية الفجر ، ع 1506 (2010/10/08).

في مرحلة التّسعينيات فقد «واكبت القصة القصيرة في الجزائر الأحداث الدموية ،وواجهت فنيا حرفية المعايشة التي تجسدت في كم هائل من النصوص [وفيها وظّف كثير من المبدعين] أساليب فنية جديدة تطرح بها القصة منها: الرسائل، وعرض النص بالذكرى،وتداخل النصوص واللصق، فن اللقطة السينمائية وغيرها من الفنيات»[42] ، وهو ما يوحي بأنّ القصة القصيرة في الجزائر قد بلغت قدرا متميزًا محترما من الفنية والجمالية على الرغم من عدم الاهتمام الكافي بها في السنوات الأخيرة، وذلك «أن هذا الفن لم يحظ بما يلزمه من اهتمام يخرجه من حالة الفن المحدث الدخيل، الضائع الملامح،السريع التغير إلى حالة الفن المكتمل، المستقل الهوية، والمؤثر في الفكر الأدبي الجمالي، وفي الذهنية الثقافية على العموم»[43]، وهذا ما حدا بمجموعة من الكتاب المهتمين بشؤون القصة الجزائرية القصيرة إلى تأسيس"جبهة كتاب القصة القصيرة"، وإطلاق أوّل موقع إلكتروني للقصة الجزائريةالقصيرة، تشجيعا للكتابة القصصية، وتقريبا لها إلى مجال الدّرس والنّقد على الرغم من أن «القصة من أخص فنون الأدب وأصعبها على التقييم و النقد الموضوعي، وهي تحتاج إلى ناقد متخصص و متجرّد»[44]،وتحتاج أيضا إلى الاهتمام والمتابعة لأنها ما زالت –رغم مرور أزْيد من ثمانية عقود على ظهورها- فنّا وجنسا أدبيا فتيّا،ويحتاج إلى تقييم وتقويم من مرحلة إلى أخرى.

---

[42]- محمد الصديق باغورة : ملاحظات عامة في القصة الجزائرية ، محاضرات الملتقى الأول للأدب و الفكر أيام 23-25 ديسمبر 2009 ، ص 30-31.

[43]- محمد رابحي : راهن القصة القصيرة في الجزائر ، محاضرات الملتقى الأول للأدب و الفكر،سيدي بلعباس أيام 23-25 ديسمبر 2009 ، ص 23.

[44]- أبو القاسم سعد الله : تجارب في الأدب و الرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 135-136.

المحاضرة الثانية عشرة:

النص النثري الجزائري والاتجاه الوطني.

شهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر انتعاشا ثقافيا وأدبيا ، يعكس الصمود الثقافي والتحدي الهوياتي والتألق الأدبي للجزائريين برغم كل الصعاب والمشاق والإبادات الثقافية الاستعمارية لثقافتنا وهويتنا، فبعد أن"مثلت الانتكاسة السياسية ثم الثقافية والفكرية والأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيبوبة شعر فيها الإنسان الجزائري بالغبن والانكسار المادي والمعنوي وهو ماشمل الكتاب والأدباء الذين هم بطبيعتهم أكثر إحساسا بالمعاناة الوطنية بكل امتداداتها تحت الاحتلال النصراني الظالم المتعجرف ،فامتد ذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر ،حين بدأ يسرى في المجتمع انتعاش واعد باستئناف النهوض بعد الانكسار بفعل عوامل مختلفة داخلية وخارجية، فمن العوامل الخارجية إدراك الجزائريين الذين كانوا يترددون على أوربا وفرنسا خصوصا الفروق الظالمة بين سياسة فرنسا في وطنها وسياستها في الجزائر،كما لعبت الصلة بالمشرق العربي دورا بارزا بفضل الصحف والنشريات التي كانت تسرب إلى التراب الوطني فتدعو إلى اليقظة والنهوض عربيا ومن بينها صحيفة "المؤيد" المصرية التي يقول عنها"سعد الدين بن أبي شنب":إنها ابتداء من سنة 1307ه(1889م)أخذت تدعو "إلى اليقظة ولإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب وحب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري فكانت الصحف والمجلات تأتيهم(الجزائريين) مباشرة من مصر أو تصل إليهم عن طريق غير مباشر أي طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة وأقل تشديدا من طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع باستقلاله أو مابين حقائب الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة بعد أداء مناسك الحج أو العمرة ، وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي ، فمن آثار تلك الروابط الروحية والعقلية بين الشرق والغرب في ذلك الزمان أن أحدثت منذ مطلع القرن الرابع عشر حركة علمية أدبية تنتمي إلى النهضة الشرقية من ناحية وتقتدي بها ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث"45-

لقد انطلقت الصرخة الوطنية الأولى على لسان الامير 'خالد' حفيد الامير عبد القادر فقد طالب في عام 1922 بالمساواة في المعاملة بين الجنود الجزائريين والفرنسيين وايضا مساواة في التمثيل البرلماني" عايدة تطور ص20؟، وجاء ذلك في رسالة الأمير خالد إلى"م.هيريو"سنة 1934

45- سعد الدين بن أبي شنب ، النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر،مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر، العدد الأول،.الجزائر، 1964، ص41

" سيادة الرئيس،

إن الجزائريين ينظرون إلى توليكم الحكم على أنه طالع سعد ، وعهد جديد ،لدخولهم في طريق التحرر ، وباعتباري احد المدافعين المتواضعين عن قضية أهالي الجزائر منفيا ، لأنني دافعت عن مصالحهم الحيوية بصراحة ،فأن لي الشرف أن أقدم لرئيس الحكومة الفرنسية الجديد برنامج مطالبنا الأساسية:

1-تمثيل الجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي برتبة متعادلة مع الأوروبيين الجزائريين.

2- إلغاء كامل ونهائي للقوانين والإجراءات الاستثنائية وللمحاكم الرادعة وللمحاكم الجنائية وللرقابة الإدارية مع العودة البسيطة التامة إلى القانون العام.

3- نفس الواجبات ونفس الحقوق(للجزائريين) مثل الفرنسيين بخصوص الخدمة العسكرية.

4-ترقي الجزائريين إلى كل الدرجات المدنية والعسكرية دون اي تمييز ماعدا الجدارة والقدرات الشخصية.

5- تطبيق كامل لقانون التعليم الإجباري على الجزائريين مع حرية نشر التعليم

6- حرية الصحافة والاجتماع.

7- تطبيق قانون الفصل بين الكنيسة والدولة بالنسبة للدين الإسلامي

8- العفو العام

9-تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الجزائريين

10-الحركة المطلقة للعمال الجزائريين مهما كانت مراتبهم في الذهاب إلى فرنسا

وبالتأكيد ليس هناك تناقض بين هذه المطالب وبين البرنامج الليبرالي لوزارتكم وحزبكم فدعونا إذا نحمل أملا راسخا في أن رغباتنا الشرعية المشار إليها سابقا ستحظى بتقدير عال.

وأرجو أن تتفضلوا سيادة الرئيس بقبول فائق تقديري

الأمير خالد(من المنفى)" **(نقلا عن نور سلمان ص386)**

لم يكن عصر الأمير عبد القادر خاليا من أسماء أدبية شعرية ، غير أنه كان ذا النصيب الأوفر في الحضور والتألق والذِّكر على ألسنة المتحدّثين في الحداثة الشعرية الجزائرية والعربية ، ومن معاصريه وأصدقائه المقربين ، نذكر الأديبَ حمدان بن عثمان خوجة الناثرُ الثائرُ المثقف في زمن لم يخفت فيه بريق النثر كما حدث مع الشعر ،إذْ إنّ" في النثر الخاص بهذه الفترة - وقد احتفظ برونقه-فتبرز أمامنا عدة أسماء مختلفة فكرا ومنهجا ،في مقدمة هذه الأسماء (حمدان بن عثمان خوجة)(1840-1773م) صاحب كتاب(المرآة) ، ذوالفكر النير والروح القومية المتوثبة"46 ، إنه الأديب ذو السيرة الأدبية النضالية العطرة ، ولد حمدان في الجزائر من أسرة ذات أملاك في منطقة متيجة ،درس على أبيه كما قام برحلات إلى اسطنبول وغيرها من الشرق العربي ،مثلما قضى سبع عشرة سنة في أوربا خاصة في فرنسا

توفي حمدان خوجة باسطنبول عام1955،تاركا كتابا قيما عنوانه "المرآة"، "ويعتبر كتابه"المرآة" علامة مضيئة في الفكر الجزائري ،وشهادة حية عن شراسة صليبية وحقد استعماري ،عكست طموح الشرفاء الجزائريين الأباة إلى العزة والكرامة رفضا لكل أشكال الهيمنة والاحتلال ،وكماعبر الكتّاب عن روح شخصية فكرية جزائرية فذة ،عبر بوضوح عما لحق الجزائر من أذى وويلات استعمارية مثلما عبر عن الحس الوطني والقومي بعمقه الديني(...)لذا يبقى كتاب"المرآة"أيضا أهم كتاب لهذا المفكر الجزائري"حمدان خوجة"ذي الحسّ الوطني الفياض والرؤى القومية الموثبة ،بكل العمق الحضاري لهذا الانتماء القومي"21 ،ومن أعمال حمدان خوجة:"إلى جانب كتاب"المرآة"للكاتب حمدان خوجة، كتاب"إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء"والذي حققه محمد بن عبد الكريم نفي سلسلة ذخائر المغرب العربي،"وقد عكسا معا مواهبه السياسية والفكرية ،والأدبية ، كما عكسا ثقافته الدينية والقانونية ، والطبية وخبرته أيضا بالحياة وشؤونها وشجونها ،خاصة بفضل أسفاره المختلفة خارج الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ومقاومته الفكرية والسياسية ضد الاحتلال ، بعد أن جثم على الوطن كابوسا مزمنا"22 ، وكان حمدان ذا حس سياسي نضالي كما كان ذا حس أدبي فكري، ومن منطلقات تآليفه السابقة صار حاملا لقضية وطنية سياسية بعدها ،"وقد هيأته هذه التجربة لدوره السياسي حيث اجتاحت جحافل الاحتلال الفرنسي الجزائر ،فانطلق يطالب النظام الفرنسي باحترام المواثيق والعهود التي أعطوها في الاتفاق الذي استسلم بمقتضاه داي الجزائر في جويلية 1830"48

- الالتزام بالقضية الوطنية:

يمثل عام 1956 نقطة تحول في تاريخ الأدب الجزائري حيث انتهت في هذا العام فترة الاهتمام بالمشاكل والقضايا الاجتماعية ،وقد عكست الأعمال الأدبية الواقع المعاش إلى درجة عالية من الأمانة والصدق وهي تعتبر بمثابة"مرآة" ، وبعد ذلك ظهر أدب ينطبق عليه تعبير الأدب الثوري أكثر من صفة أدب الثورة وذلك لكونه ثوريا في المضمون وفي الشكل(إذْ) الأدبيات

48- عمرين قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعي ، الجزائر،1993 ،ص0.46

الجزائرية كانت سلاحا آخر من سلاح المعركة ضد الاحتلال،وهذا مايراه"معمري" حين يقول:"إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين وفي الإمكان أن تطلق العيارات النارية بواسطة القلم هذا هو حال الكتاب" 49 ، والمتتبع للأدب الجزائري الحديث يعرف أنه ادب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها ،الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي والثورة ضد الاستغلال والثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي وهذا يعني انه لم يكن أدبا محايدا أمام واقعه"50 ، إن الحس الوطني والثوري رافق المنتج الأدبي الجزائري منذ التواجد المبكر للمستعمر الفرنسي بالجزائر ،"كانت الأحداث الوطنية تتطور وبرزت الحركة الوطنية إلى الوجود بنشاطها الحزبي الذي أسهم في بلورة الوعي السياسي وإذكائه لدى الجماهير ،...وهكذا نرى أن الشعور الوطني بدا يستيقظ ولم تعد الحركة الوطنية تكتفي بالنضال السياسي وحده ن بل تجاوزته إلى طرح المسالة الثقافية من خلال مشروع النهضة وتثبيت القيم الثقافية والحضارية للشعب الجزائري " 51

أولا -مرحلة الثورة(1962-1954)

ارتبطت الحركة الأدبية في هذه المرحلة بالحركة الثورية ،فحين "ثار الشعب الجزائري وفجر ثورته المباركة فزلزل بركانها قلاع المعتدين سارع الأدباء بالاستجابة لندائها والانضواء تحت لوائها مجاهدين يواجهون جيش العدو في ساحات الوغى بحد السلاح ،وأدباء يغذون بالكلمة المناضلة نار الثورة وهي تلهب ظهور فلول الظالمين ،ويسجلون في روائعهم ملامحها الخالدات ويبشرون بانتصارها على

الغزاة ذات غد مشرق عزيز ،وقد استطاع أدباء هذه المرحلة أن يسهموا في تطوير العملية الأدبية بما

-49عايدة أديب بامية تطور الأدب القصصي الجزائري،ص137

50- أحمد دوغان : مرجع سابق،16

51- المرجع نفسه،61

كانوا يبدعون من أعمال أدبية متنوعة ن فالشعراء منهم واصلوا عملهم في السمو بالتجربة الشعرية مضامين ن وطرق معالجة ووجوه صياغة ،أما الكتاب فازدهر على أيديهم ما زرعه أدباء المراحل السابقة في حقول النثر من فنون فنضج على أيديهم فن القصة القصيرة ووقف على أقدامه فن الرواية الحديثة وقد ساعدهم على تحقيق هذه النقلة في أعمالهم وفاؤهم لمنهجهم الأصيل القائم على المزاوجة الفنية بين النموذج التراثي وبين الإفادة من التجارب الأدبية الحديثة عربية وأجنبية" 52 ، ومن أدباء هذه المرحلة نذكر : صالح خرفي ن حنفي بن عيسى ،مولود قاسم ، عبد الحميد بن هدوقة ، أبو العيد دودو ،الطاهر وطار ،عثمان سعدي ،محمد عبد القادر السائحي ، عبد الله ركيبي ،أبو القاسم خمار وغيرهم.

ولايمكن لأحد أن ينكر الدور التاريخي البارز الذي لعبته الصحافة الوطنية في إذكاء الحس الوطني الثوري ، من خلال نشرها للكتابات الأدبية الجزائرية الثائرة،" أدت الصحافة في الجزائر دورا شريفا وعظيما معا فأيقظت الشعب وعرفته معنى الوطن والوطنية ودعته إلى التعلم ليتذوق حلاوة العلم وأرته المعنى الكريم للحياة المثلى"53

أما إدريس بودبية فيقرأ هذا الحس الوطني الثوري من منظوره الخاص حيث يعتقد "أ ن السبب الأساسي هو تنامي الحس الوطني والثقافي للكتاب الذين أنضجتهم عمليات الصهر والنضال السياسي للحركة الوطنية التي توجت نضالات الشعب الطويلة بقيام ثورة نوفمبر 1954 هذا من جهة ومن جهة أخرى –وكنتيجة حتمية للوضعية السابقة –قام هؤلاء الكتاب بوضع حد للأدب الذي كتبه الأدباء

الفرنسيون المولودون بالجزائر والذي كان أدبا غرائبيا منحازا لرواية كولونيالية سياحية لاترى في الجزائر غير الشمس والبحر وسحر المناظر والغابات أما الجانب المظلم المتمثل في معاناة الإنسان الجزائري فقد أحجموا على الخوض فيه والكتابة عنه"54 ، فيما اتخذ التزام الروائيين الجزائريين مناحي واتجاهات مختلفة فلقد كان'كاتب ياسين' مفتونا بفكرة الأمة الجزائرية فلم يكتف فقط بالوقوف مدافعا عنها بحماسة وبالعمل على بعثها وإحيائها بل أنه عمل على تشخيصها وإعطائها الصفة الإنسانية فقدم لنا الجزائر حية كحيوية بطلته الساحرة الفاتنة"نجمة""55 ، وبدا يظهر بعد

52- محمد بن سمينة :المرجع السابق، ص92

53- عبد الملك مرتاض: أثر الصحافة العربية الجزائرية في النهضة الوطنية،مجلة الثقافة.عدد28 سبتمبر 1975.111

54- إدريس بودبية :البنية والرؤية في روايات الطاهر وطار،،منشورات بونة للبحوث والدراسات،عنابة 2011 ص22

55- عايدة أديب بامية:مرجع سابق، ص138

منتصف الستينات ضمن أدب الجزائريين المكتوب باللغة الفرنسية توجه جديد لاسيما في الرواية غلبت عليه اللعة السياسية الانتقادية ولذلك سماه أحد الباحثين بأدب النزعة الاحتجاجية الاجتماعية والسياسية ونشر معظم هذا النوع الاحتجاجي في فرنسا نذكر منه على الخصوص أعمال محمد ديب الروائية التي ظهرت في الفترة مابين1968و1973:'رقصة الملك 1968،و'إله أرض البربر1970'و'معلّم الصيد 1973،ورواية مراد بوربون'المؤذن1968،و' التطليق1969 ' و'ضربة شمس1972 'لرشيد بوجدرة،و'موت صالح باي1980 'لنبيل فارس،فكل هذه الأعمال الروائية يجمعها قاسم مشترك واحد يتمثل في النقد الشديد اللهجة للأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر

أما عن الحس الهوياتي الوطني في الهوية رواية السبعينات فإن"مظاهر هذا التوجه تعددت وتنوعت ولم تقف عند حدود المعارضة السياسية البحتة أو نقد الأوضاع الاجتماعية والفساد الإداري فمنذ السبعينات طرحت مسائل أخرى لعل أهمها مسألة الهوية الوطنية والهوية الأمازيغية بالتحديد التي عبرت عنها بشكل مباشر بحوث مولود معمري اللغوية والأنثروبولوجية على الخصوص وبشكل غير مباشر روايته الأخيرة'العبور1982' كما طرحها غيره في أعمال أدبية مختلفة تتراوح بين التصريح والتلميح وبين المباشرة والرمزية مثل مانجد في مسرح كاتب ياسين عامة الذي يتميز بأسلوب افتزازي...ومثل أعمال نبيل فارس الروائية مثل 'ذاكرة الغائب'1974 ،ومثل' المنفى والحيرة'1976 التي تطرح العديد من الأسئلة حول الهوية الجزائرية المستلبة والثقافة الأصيلة المغيبة وكذا الأمر في بعض أعمال الطاهر جاووت كروايته'منزوع الملكية'" 56

أما مع مطلع التسعينات وفي خضم الأعوام العجاف والعشرية السوداء التي مر بها وطننا العزيز ، فإن النثر الجزائري ظل ملازما لأيام محنتنا تلك ، وسجل أحداثها ووقف منها موقف نبيلا منتصر للوطن

والوطنية والأمن والمصالحة والوئام ،" وفي مطلع التسعينيات ومع صعود المد الإسلامي ودخوله بقوة معترك السياسة في هذه الفترة أخذت تظهر أعمال روائية في هذا الأدب تنتقد هذا المد نقدا لاذعا وتصوره في شكل خطر سياسي واجتماعي داهم يهدد الديمقراطية والحريات العامة ومن ثمة تدعو بشكل صريح ومباشر إلى التصدي له ومحاربته بكل الوسائل وتعد أعمال رشيد ميموني القصصية والروائية الأخيرة أبرز النماذج في هذا الصدد مثل بعض نماذجه في مجموعته القصصية'حزام الغولة'1990 وروايته'اللعنة'1993،التي تتخذ من اعتصام الإسلاميين في ساحة أول ماي في جوان 1991 واستيلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى بعد صدامهم مع قوات الأمن محورا لها" منور ص 118 ن ومن الكتاب الذي نقلوا بعد أن عاصروا الأزمة الجزائرية واسيني الأعرج واحميدة عياشي وأمين الزاوي والخير شوار وغيرهم كثير.

56-أحمد منور: ص116

لقد تضافرت عوامل كثيرة ومؤثرات متعددة لتمنح النثر الجزائري الحديث كل هذا الحس الوطني الميق الواعي ، منها عوامل تربوية تعليمية ومنها الدينية ومنها الإعلامية.

أولا- العامل الوطني: الحركة الوطنية والتعليم والزوايا والصحافة

لقد تنوعت العوامل التي كانت لها فاعليتها في بزوغ إشراقة فجر النهضة الفكرية والأدبية ،ويمكن ان تندرج تلك العوامل في مؤثرات ثلاثة هي: المؤثر الوطني ،والمؤثر القومي ،والمؤثر الأجنبي ،وكان المؤثر الوطني - وهو الأكثر فاعلية من غيره- قد انبثق عن الصراع الدائر بين الشعب الجزائري وبين المحتلين الفرنسيين ن دفاعا عن القيم الحضارية والمقومات الشخصية للأمة ،وذودا عن الأرض المغتصبة والحقوق المسلوبة " 57، وكانت الحركة الوطنية بوجهيها الحضاري والسياسي قد أخذت مواقعها في الصدارة في حركة جهاد الأمة عن طريق النهوض والتحرر وكان لكل من هاتين الفصيلتين أساليبهما ووسائلهما التي تتماشى ومنهجها العام في الجهاد نحو تحقيق الغاية الوطنية الواحدة ، وهي استعادة السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال...وقد انطلقت هذه الحركة من هذه القناعات تعمل على حشد طاقات الأمة والسمو بها فوق مرحلة المطالبة بالحقوق إلى مرحلة النهوض بالواجبات ولم تلبث هذه الحركة أن ترجمت هذا الشعور إلى واقع ملموس فقامت بتوفير بعض الوسائل والآليات التي تتطلبها هذه العملية من أهمها بناء المساجد وتشييد المدارس وإنشاء المطابع وإصدار الصحف وتأسيس الجمعيات والنوادي" 58، لقد تمسك الجزائريين بالعلم والتعليم:"إلا أن الشعب الجزائري ظل وفيا بالرغم من قلة الإمكانيات وكثرة الموانع- لتعاليم دينه ومقومات شخصيته وقيم حضارته وذلك عن طريق خدمة العلم ونشره في حدود مابين يديه من أدواته ووسائله: زوايا ومساجد ومدارس ومعاهد مما ساعده على المحافظة على البقية الباقية من ثقافته وتراثه" **59**

- دور جمعية العلماء المسلمين العلمي الثقافي النهضوي:

كان لجمعية العلماء المسلمين الجانب الكبير في إشاعة الحس الوطني في الأمة الجزائرية ، وفي الثقافة والأدب أيضا وتحسن الإشارة إلى أن الخطوة الرائدة على طريق نهضة التعليم العربي الحر في الجزائر غنما هي تلكم الخطوة التي خطاها ابن باديس في هذا الميدان بعكوفه على مشروعه التربوي الحضاري بمعقله الدعوي ومعهده العلمي(الجامع الأخضر) منذ عودته من رحلة الطلب بجامع

-57-محمد بن سمينة :مرجع سابقص31

58- المرجع نفسه،ص30

59-المرجع نفسه،ص33

الزيتونة بتونس1912.ثم بعد آدائه فريضة الحج ورجوعه من الحجاز بعد ذلك 1913 فشرع يومئذ ينشر العلم والمعرفة ويقاوم الجهل والجمود عن طريق دروس عامة وخاصة يلتقي فيها بجمهور الامة وبناشئتها يربي ويعلم يهذب ويثقف يعظ ويرشد يوجه وينصح يبني النشء ويعدّه ليوم الغد يوم الثورة والتحرير والبناء والتعمير...وكان رئيس جمعية التربية والتعليم التي أشرفت على تأسيس أول مدرسة عصرية للتعليم العربي الحر بقسنطينة 1930 ، كما تولى بعد عام من هذا التاريخ رئاسة اكبر مؤسسة تربوية دعوية إصلاحية حضارية عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعتبر رسالة التربية والتكوين والتعليم والتهذيب"60 **محمد بن سمينة ص35-36**

لعبت الصلة بالمشرق العربي دورا بارزا بفضل الصحف والنشريات التي كانت تسرب إلى التراب الوطني فتدعو إلى اليقظة والنهوض عربيا ومن بينها صحيفة "المؤيد" المصرية التي يقول عنها"سعد الدين بن آبي شنب":إنها ابتداء من سنة 1307ه(1889م)أخذت تدعو "إلى اليقظة ولإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب وحب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري فكانت الصحف والمجلات تأتيهم(الجزائريين) مباشرة من مصر آو تصل إليهم عن طريق غير مباشر أي طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة وأقل تشديدا من طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع باستقلاله آو مابين حقائب الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة بعد أداء مناسك الحج أو العمرة ، وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي ، فمن آثار تلك الروابط الروحية والعقلية بين الشرق والغرب في ذلك الزمان أن أحدثت منذ مطلع القرن الرابع عشر حركة علمية أدبية تنتمي إلى النهضة الشرقية من ناحية وتقتدي بها ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث"61**سعد الدين بن أبي شنب،النهضة العربية بالجزائر في النصف الاول من القرن الرابع عشر،مجلة كلية الآداب.الجزائر العاصمة.1962.**

الاتجاه الوطني للقصة القصيرة :

لعلّ المتتبّع لسيرورة القصة الجزائرية سيعرف مدى تأثير الثّورة التحريرية الكبرى في القصّة، ومساهمتِها بصفة فعّالة في تطويرها،

وإعطائِها دفعا قويّا في مسيرتها ومسارها، فعندما اندلعت الثّورة «تغيّر كلّ شيء فوق الأرض، ومعها مفهوم القصة الجزائرية بمفهومها السليم، بل كانت الطّفرة التي نقلت القصة من الموضوعات المادية المستهلكة إلى المضامين الثورية المنفعلة بالواقع الجديد، فالقصة الجزائرية لم تتضح فعلاً ولم تتوفر لها عناصر الفن إلاّ أثناء الثورة وبسببها»[62].

60- محمد بن سمينة :مرجع سابق ص35-36

61- المرجع نفسه،ص35

-62- المرجع نفسه،ص62

لم يكن تأثير الثورة في القصة القصيرة موضوعاتيا –فحسْب- أو من حيث تغيّر وتجدّد مضامينها ولكن من حيث إنّ «القصة قد خطت خطوات هامة نحو النضوج الفني(...) متخلية بذلك عن تلك المحاولات القصصية البسيطة»[63] لتجدّد وتتجدّد في أشكالها و مضامينها، لتكتسب قدرا هامّا من الفنّيّة، وتكون بذلك قادرة على تحقيق اكتفاء جماليّ للقارئ/ المتلقّي. حيث يمكن الحديث عن هذا التفاعل بين الثّورة والقصّة بثورة القصة /قصة الثورة، فقد «أدّت الثورة المسلحة إلى ثورة شاملة في الفكر و السياسة و المجتمع»، 64وهو ما أدي إلى ثورة في القصةالجزائرية القصيرة بالفعل، «وقد وجد الكتاب فيها المنبع الخصب الذي يغترفون منه فاستمدوا منها أبطالهم، من دنيا الواقع وسط الدم و اللهب»[65]،وقد كان قبْلَها البطلُ خياليّا،لا وجود له في أرض الواقع تمامًا،والبطل أيضا في قصة هذه المرحلة «صار ممثّلا لفكرة وطنية»[66]تتعلّق بتحرير الوطن، والدّفاعِ عنه وحمايتِه. كما «عمّ جوّ الثورة كافة الإنتاج الأدبي ومن بينه القصة القصيرة التي استمدت مادتها من وحي الثورة، فقد حاول الكتاب رفع مستواها الفني حتى تبلغ مستوى الثورة في صفاتها، وتتماشى مع جوهرها الأسمى وأهدافها الإنسانية التي قامت من أجلها»[66]

ومن هنا يمكن القول بأنّ الثّورة التّحريريّة كانت مرحلةَ الانطلاق الفنيّ للقصّة القصيرة، وأساسًا لبنائها بعد ذلك، «فمرحلة التأسيس في خضم الثورة أعلنت ميلاد قصة قصيرة جزائرية مصبوغة بطابع الثورة في كثير من مضامينها»[67]، وجعلت الأقلامَ القصصيةَ بعد ذلك تتّكئ على مرجعيّة فنيّة صلبة في مجال القصة القصيرة،وهو ما انعكس بالفعل على النصوص القصصية بعد الاستقلال، خاصة وأنّ الجزائر أصبحت تنعم بحريتها، وبدأت تتهيّأ للقصة القصيرة ظروفٌ و عواملُ نجاح و استمرار و تطوّر كثيرة، حيث «تطورت القصة القصيرة ما بعد الاستقلال بفضل حالة الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي ظهرت معه مؤسسة قوية فاعلة (وزارة الثقافة، اتحاد الكتاب، هياكل ثقافية، ملاحق مختصة، جوائز»[68]، كلّ هذا جعل من الحياة الثقافية عموماوالأدبية خصوصا أكثرَ تطورا.

و قد «تعددت مواضيع القصة الجزائرية بعد الاستقلال بين الثورة كماضٍ، و الثورة كحاضر، و الهجرة إلى المدن أو إلى الخارج، والمشاكل الاجتماعية التي ظهرت مع الأحداث الجديدة، والتطورات التي حدثت في المجتمع الجزائري»[69]، وهو ما أكسب القصةَ القصيرة واقعيةً وصدقا في الطّرح، ومقاربةً لأبسط ظروف وانشغالات الفرد الجزائري، والمجتمع عموما في تلك الفترة.

في مرحلة التّسعينيات فقد «واكبت القصة القصيرة في الجزائر الأحداث الدموية ،وواجهت فنيا حرفية المعايشة التي تجسدت في كم هائل من النصوص [وفيها وظّف كثير من المبدعين] أساليب فنية

جديدة تطرح بها القصة منها: الرسائل، وعرض النص بالذكرى،وتداخل النصوص واللصق، فن اللقطة السينمائية وغيرها من الفنيات»[70] ، وهو ما يوحي بأنّ القصة القصيرة في الجزائر قد بلغت قدرا متميزًا محترما من الفنية والجمالية على الرغم من عدم الاهتمام الكافي بها في السنوات الأخيرة

المسرح والاتجاه الوطني :

هناك عوامل كثيرة حفزت المسرحيين الجزائريين على مواصلة الكتابة و الترجمة و التمثيل ، و لا شك أن للفرق المسرحية العربية الوافدة إلى الجزائريين الحين و الآخر ، دورا هاما في تحريك الفعل المسرحي بالجزائر حيث " يشكل المسرح الجزائري أحد الأركان الأساسية في مسار الثقافة الوطنية ، من حيث ارتباطه بمسيرة المجتمع الجزائري من خلال القضايا التي طرحها " 71 و من أهمها الجانب التحرري و الإصلاحي على وجه الخصوص ، " وفي أثناء الثورة الوطنية نشر الأستاذ الركيبي تمثيلية تحت عنوان"مصرع الطغاة" في اربعة فصول تدل دلالة واضحة على تقدم هذا النوع من الأدب العربي في الجزائر ،...وبعد الاستقلال زودنا'الجنيدي خليفة' بمسرحية اجتماعية في اربعة فصول تحت عنوان'في انتظار نوفمبر جديد' ولأبي العيد دودو مسرحية بعنوان'التراب' والأستاذ واضح هو الآخر كتب مسرحية في ثلاثة فصول تحمل عنوان 'بئر الكاهنة' ن وظهرت مؤخرا مسرحيات: الأولى لعبد الرحمن مضوي بعنوان'يوغرطة' والأخرى للطاهر وطار بعنوان'الهارب"72 اوهكذا نظم محمد العيد آل خليفة مسرحية"بلال" وكتب اخحمد ذياب مسرحيته الاجتماعية' امرأة الأب'" وألف أحمد توفيق المدني مسرحيته التاريخية'حنبعل ، وكل هذه المسرحيات لم تكن ناضجة فنيا ولم يكن هذا النضج ممكنا في إطار النظرة القاصرة التي كانت لهؤلاء المؤلفين عن فن المسرح ،فهذا الفن لم يكن في نظر هؤلاء إلا لخدمة المجتمع أخلاقيا ودينيا واجتماعيا وهو ماجعلهم يكثرون في مسرحياتهم من الحكم والمواعظ والعبر التاريخية ولكن هذا لايمنعنا من ملاحظة ظهور المسرحية الجزائرية في هذه الفترة " 73..."و في مرحلة متقدمة من تطور المسرح الجزائري بدأ يعتمد على الترجمة و الاقتباس 74 ، و لعل أبا العيد دودو أحد أهم مترجمي المسرح في الجزائر و من ذلك مسرحية " الضيف الحجري " لبوشكين 75

71- محمد بوكروح : مرجع سابق ص55

72- المرجع نفسه،ص 50

73-محمد مصايف: مرجع سابق، ص116

74 محمد بوكروح:مرجع سابق ص65

75- ألكسندر بوشكين: الضيف الحجري، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1976.

نماذج مسرحية:

(مصرع الطغاة 1959) لعبد الله الركيبي، وكتبها ونشرها بتونس عام 1959، جاءت في 68 صفحة ، " تدور أحداث هذه المسرحية في الجزائر أثناء فترة الاستعداد للثورة ثم تتابع أحداث المعركة التحريرية ، إلى نهايتها المحتومة'مصرع الطغاة'

(التراب 1966) أبو العيد دودو ، وقد ابدي فيها ابو القاسم سعد الله ملاحظات عديدة منها:" إن أول مايلاحظ على المسرحية هو طولها ،إنها تتجاوز معدل زمن المسرحية الذي هو عادة ساعة ونصف أو ساعتان ، وقد نتج عن طول الحوار رتابة في بعض المشاهد ،من ناحية الإطار العام فإني لاحظت أن هناك نقصا في وصف الأشخاص

إن المتصفح للأعمال النثرية الجديدة على اختلاف فنونها وأجناسها ، يلاحظ أن الحس الوطني قد شملها جميعها وبمنسوب كبير جدا ، فلقد كان النثر الجزائري منذ القرن التاسع عشر حامل ألوية الوطنية والمحافظة على قيم الوطنية والبعد الهوياتي لهذا الشعب ، رغم محاولات المستعمر لتدمير ثقافتنا وهويتنا ولزعزعة الروح الوطنية في أنفس الجزائريين ترغيبا وترحيبا ، فلقد وقفت الرواية والقصة والمسرح والمقالة والخطابة على خط واحد مدافع متصدّ لكل أنواع الظلم ، وأن النثر الجزائري بحق نثر طافح بالوطنية في تجلياتها المختلفة

المحاضرة الثالثة عشرة

إرهاصات الرواية الجزائرية

فن الرواية ، ذلك الفن العتيق الأصيل الذي وسع الفنون جميعها مستمدا منها مايزيده قوة وموسوعية ويكسبه الخلود بهذه الانفتاحات الفنية على عوالم أدبية وفلسفية تاريخية أخرى ، هذا الفن السردي الذي مر بتاريخ طويل من الكتابات والاتجاهات والتطورات، "هي أكبر الانواع القصصية من حيث الحجن وهي ترتبط بنزعة الرومنتيكية نزعة الفرار من الواقع وتصوير البطولات الخيالية" 75 ، وهي" وثيقة تسجيلية تعتمد أولا وأخيرا على القلب والعاطفة والوجدان" 76. من حيث "إنها نوع لايخضع إلى قواعد ومواصفات وقوانين ثابتة وان التغيير والتحول والمرونة اللانهائية من أهم صفاتها خصوصا من حيث الشكل المفتوح الذي يظل في حالة صنع وهي مغامرات أكثر منها كتابة مغامرات" حين نتصفح كتب نقاد الرواية ودارسيها نجد أنهم يعودون دوما إلى المرجعية العربية المشرقية في الرواية قبل الحديث عن الرواية الجزائرية ، وكأن الرواية الجزائرية تابع دوما كالتبعات الأجناسية الأخرى مثل الشعر والقصة والمسرح ، ويعقد كثير من الدارسين مقارنات بين الروايتين:المشرقية والجزائرية مستجلين الامتدادات والفروق والخصائص المشتركة ،الفوارق بين الروايتين العربية والجزائرية "الحديث عن الأدب الجزائري هو الحديث عن جزء من كل هو الأدب العربي عموما للجذور المشتركة الضاربة في العمق رغم الفروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي وهي فروق لاتلغي بأي حال من الأحوال طبيعة التلاقح والتكامل فكرا وفنا في كل الأنواع الأدبية ومن هذه الأنواع الرواية نفسها لاعتبار المنبع الحضاري ومساره الإنساني العام" 78.

- نشأة الرواية الجزائرية بين مدّ مشرقي و جزْر أوربي:

إنّ الرواية الجزائرية الحديثة النشأة غير مفصولة إذن عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله ،مشرقه ومغربه سواء في نشأتها الأولى المترددة ،أو في انطلاقتها الناضجة ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوربية بأشكال مختلفة...من دون أن نسهو عن جذورها المشتركة عربيا أولا:في صيغ القص فقي القرآن الكريم والسيرة النبوية ،وثانيا :في البذور القصصية الأولى ،في مقامات الهمذاني والحريري التي ترجمت إلى عدة لغات"(انظر عمر بن قينة:في الأدب الجزائري الحديث،ص119)

75- عبد المنعم خفاجي:دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ،دار الجيل بيروت.ط1، ص112

76- عبد السلام الشاذلي.شخصية المثقف في الرواية العربية.دار النهضة.بيروت.ط2 ،1982،ص34

-77- خليفة حسين مصطفى :الشخصية الروائية،بيروت لبنان ،ط2006،1،ض25

78-عمر بن قينة مرجع سابق،ص77

.ض195-196. وقد تأخر ظهورها مقارنة بالعربية والمغاربية" لقد تأخر ظهور الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر عن المغرب العربي وهذا يعود إلى عدة عوامل تاريخية مختلفة أسهمت في هذا التأخر ،والرواية العربية في المشرق العربي لم تبلغ المستوى الفني للرواية إلا بعد أن مرت بمحاولات تعبيرية عديدة مهدت الطريق وهيأت أسباب النضج البطيء عبر الكتابات والترجمات التي قام بها الرعيل الأول"79 ، كما تأخر ظهور الرواية الجزائرية العربية مقارنة بالمكتوبة باللغة الفرنسية،ففي الرواية"

بقي النتاج العربي غائبا تقريبا ليشجع الاستعمارُ الكتابة بالفرنسية ، ولانستغرب أن تكون الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية أسبق في الظهور من الرواية المكتوبة بالعربية لأن كل ماهو عربي كان مكبوتا"80 يكاد يجمع معظم النقاد والمهتمين بالرواية الجزائرية على وجه الخصوص بأن:"الرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة العربية ن هذه الرواية التي يشير أغلب الدارسين والنقاد في الجزائر إلى أنها من مواليد السبعينات عدا روايتين هما(غادة أم القرى) للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو ،و(الطالي المنكوب) لعبد المجيد الشافعي،وقد صدرتا في أواخر الأربعينات وقد اعتبرهما الناقد الراحل احمد مصايف قصتين طويلتين لكنه لايرى مانعا في عد هذين العملين روايتين على سبيل التجاوز والريادة في العمل الروائي" أحمد دوغان:في الأدب الجزائري الحديث،منشورات اتحاد الكتاب العرب.دمشق.1996.ص85 ، كما لايمكن أن ننسى التجربة الروائية الرائدة التأسيسية لإرهاصات هذا الفن ن ونقصد بها رواية" حكاية العشاق في الحب والاشتياق"يحسن أن نتوقف قليلا عند أول عمل من هذا النوع كظاهرة مبكرة كتبه صاحبه سنة 1849م وهو حكاية العشاق في الحب والاشتياق" للسيد(محمد بن براهيم) المولود بالجزائر سنة 1806م، المدعو الأمير مصطفى وهو الذي كان جده مصطفى باشا دايا على الجزائر."83 ، " وكان الناقد والباحث الجزائري ابو القاسم سعد الله قد عثر عليها مخطوطة في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة فقام بتحقيقها وطبعها"، و" هي رواية تروي مغامرات عاطفية جرت بين البطلين وقد كتبت بأسلوب رقيق جمع بين النثر الصافي الذي يكاد يكون فصيحا والشعر الملحون" 84 ، كما "تبعتها محاولات أخرى في شكل 'رحلات' ذات طابع قصصي منها'ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس' سنوات1852-1878-1902 ،تلتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي بوعي قصصي ،وجدية في الفكر والحدث والشخصيات والصياغة فكان أول جهد معتبر فيها (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو ، عن معاناة المرأة الحجازية ضغوط القهر والحرمان ذي الوجوه المختلفة" والتي انتهى من تأليفها عام 1947م.و " ونعتقد انه – أحمد رضا حوحو – كتب غادة ام القرى في بداية الأربعينات وربما قبل ذلك بالاستناد إلى المقدمة التي كتبها له السيد أحمد بوشناق المدني والمؤرخ في 20 جانفي 1943" 85

79-82-إدريس بوديبة :مرجع سابق ص 18

83- عمر بن قينة:مرجع سابق،97

84- لمرجع نفسه،الصفحة نفسها

85- واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ص18

كما أن غادة ام القرى أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر حيث ظهرت كتعبير عن تبلور وعي الجماهير بالرغم من آفاقها المحدودة..."86

و تكتسي قدرا هاما من العلامة الفنية ولهدوء اللغوي ،في وصف الشخصية والحيز في فترة متقدمة من نشوء الرواية الجزائرية التي لم يكن ينتظر منها الكثير ويكفي صاحبها شرفا أن كان أول أديب يكتب باللغة العربية ويطرق أبواب العالم الروائي" 87

- رواية الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي:

المحاولة الروائية الثانية فكانت من تأليف (عبد المجيد الشافعي) بعنوان'الطالب المنكوب' وهي تصور حياة طالب في تونس سقط في حب فتاة كان يودي به إلى الإغماء "88، نهذه الرواية" تلبية لحاجة نفسية في وصل اللحمة والوشائج الدموية بين الشعبين" 88، ص 132. الجزائري والتونسي ، وهي " رواية رومنسية في أسلوبها وموضوعها تتميز بالسذاجة في المضمون وطريقة التعبير" (عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، ص 200). أما إدريس بودیبة فیرة أن رواية الطالب المنكوب كانت" أنموذجا للسذاجة الفكرية والفنية سواء أكان ذلك في مستوياتها البنائية أو الشخصية أو في عقدها وأحداثها كما جاءت مثقلة بالترصيعات اللغوية والافكار المثالية "(إدريس بودیبة.الرؤية والبنية.ص)31

نحاول ان نستخلص من المشهد الروائي التأسيسي في إرهاصاته الأولى ، أن" كل الكتابات التي ظهرت قبل السبعينات لم تتطور صوب اتجاهات فنية حاسمة بل ظلت مجرد محاولات معزولة لم ترق غلى المستوى المطلوب وهذا الموقف يتناسب والظرف التاريخي السائد ،والدارس لهذه النتاجات يلاحظ سيطرة المضامين الانفعالية التي تمجد الأحاسيس السطحية ولا نجد أي كاتب أو ناقد آثار –مثلا – مسألة الشكل الفني أو الجوانب الجمالية للنص التي تشعل فضاءه بالبرق وتقدم له صياغة فنية متفوقة" (بودیبة:الرؤية والبنية ص38) ، وقد تلت هذه التجاربَ تجاربُ أخرى منها" الحريق لنور الدين بوجدرة ،..وصوت الغرام لمحمد منيع ثم رمانة للطاهر وطار ، عن نتائج الفقر التي انتهت بالفتاة رمانة الجميلة ذات الست عشرة سنة إلى بغيّ "

ومن أهم الروايات العربية الجزائرية الصادرة في السبعينات نذكر:'ريح الجنوب' لعبد الحميد بن هدوقة 1971 ،و'مالاتذروح الرياح' لمحمد عرعار العالي 1972، و'اللاز' للطاهر وطار 1972 ، و'نار ونور' لعبد الملك مرتاض 1975 ،و'طيور في الظهيرة ' لمرزاق بقطاش 1976 ،والشمس تشرق على الجميع'لإسماعيل غموقات1978

86-واسيني:المرجع السابق،ص97

87- واسيني المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

88- محمد الصالح الجابري :الأدب الجزائري المعاصر ،دار الجيل ،بيروت لبنان ،ط1 ،2005،ص211

غير أن النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية"ريح الجنوب" وقد كتبها عبد الحميد بن هدوقة في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية فأنجزها في 05 نوفمبر 1970م تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته ورفع الضيم عن الفلاح ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان" 89، ويعزز هذا الرأي أحمد دوغان في قوله: "أما الرواية العربية بشكلها الفني فلم تظهر إلا في السبعينات وكانت أول رواية فنية عرفها الأدب الجزائري هي(ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة وقد كتبت في عام 1980"90 ، ويضيف عمر بن قينة في قضية الريادة الروائية الناضجة بأن" ريح الجنوب للكاتب عبد الحميد بن هدوقة وهي الرواية التي تكاد تجمع قطعيا آراء النقاد والباحثين على أنها البداية الفعلية لرواية جزائرية ناضجة بلسان الأمة :اللغة العربية"91 ،

وأسلوب الكاتب ولغته السلسة الشاعرية في كثير من المواقف خاصة حين يصف الطبيعة المتذمرة المتمثلة في الرياح التي لاترحم"92 ، كما"مكن اعتبار ريح الجنوب فعلا النشأة الجادة الناضجة لرواية فنية جزائرية حدثا وشخصيات وأسلوبا ، تأتي بعد أن قطه هذا اللون فنيا في معظم أقطار الوطن العربي شوطا كبيرا ومنه تونس والمغرب" 93

أما الروائي الطاهر وطار ، معزّز الخطوة التأسيسية الروائية لبن هدوقة فله شأن فني أدبي لايستهان به أيضا في مجال الرواية فإن "ظهرت ريح الجنوب كعمل أول في تأسيس رواية فنية جزائرية بكل الملامح المعروفة واقعيا وفنيا وإيديولوجيا وبكل السلبيات أيضا التي لايخلو منها أي عمل رائد ، فإن 'اللاز' للكاتب الطاهر وطار تخطو في مرحلة التأسيس هذه خطوةً متقدمة ذات اعتبار ،إن لم تكن بالموضوع فبالمعالجة المتطورة ، وهي تجمع ملامح أشكال سلوك في واقع الثورة الجزائرية(1954-1962) وواقع مابعد الاستقلال وما أفرزه الوضع من آفات مختلفة،سياسية وثقافية واجتماعية"94

89- عمر بن قينة: مرجع سابق، ص198

90- أحمد دوغان:مرجع سابق، ص85

91- عمر بن قينة: المرجع السابق، ص196

92- عبد الله الركيبي :.النثر الجزائري الحديث،ص210

93- عمر بن قينة: المرجع السابق، ص201

94- عمر بن قينة ، المرجع نفسه، ص220

كما يغلب الجانب الفكري والاطروحي على الجانب الفني خصوصا في اعماله المطولة مثل"اللاز" فهو يولي عناية كبرى للفكرة ولايكاد يهمه من الأداة اللغوية والاسلوب إلا ماهو ضروري لهذا التعبير"95.ويرى إدريس بوديبة بان توجه الطاهر وطار الروائي " يدل على وعي متمكن ينطلق من الآن إلى المستقبل وذلك بتشييد فوق الواقع واقعا آخر ينمذجه إنه الواقع الحقيقي مكثفا ومضافا إليه الفن 96"

لقد نشأت الرواية الجزائرية الفنية تتكئ على الواقع المعيش سياسيا واقتصاديا واجتماعيا مع تردد في الموقف الإيديولوجي الذي بدا اقرب إلى موقف النظام ن وبعض الضعف الفني :بناء وشخصيات وتصويرا ، كما نرى في ريح الجنوب ، ثم خطت الرواية خطوة فنية نحو التطور الإيجابي-فنيا- سنة 1972 في هذه النشأة برواية 'اللاز' التي تستمد الثورة ماضيا وبعض نتائجها السلبية لاحقا بعد الاستقلال وامتداد نتائج مختلفة حتى السبعينات...وتعتبر هاتان الروايتان الأرضية الصحيحة في التأسيس لرواية جزائرية بلسان الأمة والوطن(العربية) سرعان ما اتسع مجالها وتعدد كتابها(...)فتجاوزت الإعمال

الروائية خلال خمس وعشرين سنة(1970-1994)ثلاثين عملا إبداعيا اختلت في مستويات واقعيتها كما اختلفت فيها الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية"97

أما الرواية بعد السبعينات فكانت ناجحة في بنائها الفني ن ولاتكاد تشكو نماذجها من أي ضعف أساسي يجعل بنياتها تتداعى في أي من فصولها" واسيني اتجاهات ص 93 ،أهم روايات التسعينات: المراسيم والجنائز لمفتي بشير 1988 ، مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق 1999 ، شرفات بحر الشمال لواسيني الأعرج 2001 ،

- الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية.

تعد رواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب صاحبة الريادة الفنية الناضجة للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وتتحدث عن " النضال السياسي في الجزائر وعن المناضلين الذين كانوا يعيشون في الخفاء بسبب ملاحقة البوليس الاستعماري لهم ،وتطرح تساؤلات محدد وصريحة عن مفهوم الوطن والهوية الوطنية"98.و " استطاع محمد ديب أن يسير بالرواية في اتجاهات أكثر واقعية وأكثر تقدمية متجاوزا بذلك الطروحات الإصلاحية التي سيطرت على الإبداعات المكتوبة باللغة العربية"99

95- إدريس بودیبة.الرؤية والبنية ،ص44

96- المرجع نفسه ،ص45

97- عمر بن قينة:المرجع السابق، ص241

98- أحمد منور:روايات الجزائريين باللغة الفرنسية، منشورات الملتقى الدولي الثامن (عبد الحميد بن هدوقة). دار الأمل للطباعة والنشر.الجزائر.ص108

99- واسيني الأعرج: مرجع سابق ،ص74.

أما الروائي كاتب ياسين فقد"دخل أجيج الثورة محاولا البحث عن أسلحة أكثر فعالية وأساليب أكثر بساطة لإيصالها إلى الجمهور ، مساهمة منه في تحريك الفعل الثوري" 100 ، وروايته نجمة إعلان جميل لميلاد الرواية الجزائرية الجديدة.

الرواية بالفرنسية بين 1958-1962 اتشحت بحس المقاومة والثورية والتصدي ، وكانت لها أبعاد جديدة بعد الاستقلال ومنها:رواية(أطفال العالم الجديد) لآسيا جبار 1962،(أصابع النهار الخمسة) لحسين زاهر 1967،(أسلاك الحياة الشائكة) محمد ديب،(التطليق) لرشيد بوجدرة. وفي الثمانينات (طومبيزا1982) و(النهر المحمول1984)و(القبيلة1989) لرشيد ميهوبي، وإن كتابات هؤلاء" لم تكن مجرد سلاح في المعركة ولكنها كانت أيضا تمتلك منظورها الفني وجدليتها الجديدة ورؤيتها لحركة المجتمع والتاريخ ولهذا أعطت لأصحابها المكانة اللائقة واستحوذت على اهتمام النقاد والدارسين"101

وتتصف روايات هذا الجيل بأنها ذات " عمق وأصالة ومضامين جديدة خاصة وان معظمها دار حول الثورة وحول الشعب الجزائري ونضله ضد الاستعمار وعبرت عن ذلك بجرأة وقدرة وفهم عميق لمصالح الشعب الجزائري وأشواقه " عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص199"الإنتاج الروائي

يرتبط أساسا بالتطور والتراكم المعرفي لان مادته المجتمع والواقع الداخلي المكتنز بالإيحاء والتشكيل وليس الواقع السطحي الخارجي المرتبط بالمرئيات المباشرة"102

100- واسيني الأعرج: المرجع السابق،ص76

101- إدريس بودیبة:المرجع السابق،ص20

102- المرجع نفسه،ص10.

المحاضرة الرابعة عشرة

النص النثري الجزائري المكتوب بالفرنسية

إن الحديث عن النص النثري الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ، هو حديث عن النصوص التأسيسية الأولى على اختلاف مرجعياتها وفنياتها ومستوياتها الجمالية ، يرجع المؤرخ والباحث'جون ديجو' أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة1891 ، وهو عبارة عن قصة بعنوان'انتقام الشيخ' مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية كتبها (محمد بن رحال) ونشرتها 'المجلة الجزائرية التونسية الأدبية والفنية' إلا أن الباحث نفسه يذكر أن عملية المسح الشامل التي قام بها للجرائد والمجلات التي كان يصدرها الفرنسيون في الجزائر في الفترة مابين 1880و1920 ، بحثا عن نصوص أخرى لجزائريين آخرين ، لم تسفر إلا على نتائج هزيلة بحيث لم يعثر إلا على نصوص قليلة "103.، ومن الجزائريين الكاتب الأول" أحمد بوري الذي نشر سنة 1912 في جريدة 'الحق' رواية مسلسلة بعنوان'مسلمون ومسيحيون'...والثاني يدعى سالم القبي الذي نشر سنة 1917 مجموعة شعرية بعنوان'حكايات وقصائد من الإسلام' اتبعها بمجموعة اخرى سنة 1920 بعنوان 'أنداء مشرقية' **ص98** ، ونظرا لهذا الفراغ المسجل بين سنة 1891 وسنوات العشرينات من القرن العشرين فإن 'جان ديجو' يتخذ سنة 1920 كانطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ ويعد مؤلّف 'القائد بن الشريف' الموسوم ب(أحمد بن

مصطفى القومي)بداية تلك الانطلاقة وينظر إليه على انه اول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية وإذا سلمنا بهذا التاريخ على انه بداية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وهو مالاينكره بعض الباحثين المعروفين ولكنهم يتجاهلونه في الوقت ذاته كما يتجاهلون كل ذلك الأدب الذي كتبه الجزائريون بالفرنسية في فترة مابين الحربين"104 أحمد منور ومن هولاء الباحثين ذكر منور:عبد الكبير الخطيبي وغني مرّاد.

إن هناك عوامل وأسبابا ساهمت في تأخر ظهور النثر الجزائري باللغة الفرنسية" والحقيقة ان هناك عوامل وأسبابا عديدة أخرت ظهور هذا الأدب كل هذه المدة ،أبرزها:أولا: سياسة العدوان التي انتهجها الاستعمار طوال احتلال الجزائر وحربه الاستئصالية ضد الأمة الجزائرية ومقوماتها الأساسية"105 ، من إصدارات هذه الفترة المتقدمة" ظهرت في عشرية 1920-1930 خمسة أعمال أدبية...وهي مجموعة سالم القبي الشعرية والسيرة الذاتية للقايد بن الشريف،ونضيف إليهما رواية' زهراء امرأة المنجمي'لعبد القادر حاج حمو ،التي صدرت سنة 1925 و'مامون 'لشكري خوجة التي صدرت سنة1928، و'العلج أسير بربروسيا' للكاتب

103- أحمد منور: المرجع السابق،ص99

104-المرجع نفسه،ص98-99

105-المرجع نفسه،ص نفسها.

نفسه التي **صدرت سنة 1929 "** ، وقد عرفت سنة 1948 خروجا عن هذا التقليد الذي سارت إليه الرواية المكتوبة بالفرنسية في الجزائر بصدور روايتي'إدريس' لعلي الحمامي ،و'لبّيك' لمالك بن نبي،وكلا الكاتبين كانا بعيدين عن الفكر الاندماجي"

إن منعطف الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية قد كان بصدور رواية 'الدار الكبيرة' ن حي**ث** شكل ظهور رواية 'الدار الكبيرة' لمحمد ديب سنة 1952 منعطفا حاسما في تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون فلأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشاتهم الفوقية عن العدالة والمساواة في ظل الحكم الاستعماري ووهم التعايش السلمي بين'الأهالي' والمعمرين... تتحدث عن " النضال السياسي في الجزائر وعن المناضلين الذين كانوا يعيشون في الخفاء بسبب ملاحقة البوليس الاستعماري لهم ،و لأول مرة تطرح تساؤلات محددة وصريحة عن مفهوم الوطن والهوية الوطنية وعن الهوية الحقيقية للجزائريين...وقدتاكد هذاالتوجه الجديد في اعمال الكاتب اللاحقة لاسيما في روايتي'الحريق'1954،و'مهنة الحياكة1957' اللتين تشكلان امتدادا وتكملة للدار الكبيرة،' "109 وقد استطاع محمد ديب أن يسير بالرواية في اتجاهات أكثر واقعية وأكثر تقدمية ن متجاوزا بذلك الطروحات الإصلاحية التي سيطرت على الإبداعات المكتوبة باللغة العربية"110.

ظهرت في هذه الفترة نفسها أعمال روائية أخرى لكتاب آخرين تسير في الاتجاه نفسه الذي سارت فيه أعمال محمد ديب الأولى ،نذكر منها على الخصوص رواية 'توم العدل 1955' لمولود معمري ،و'نجمة'1956 لكاتب ياسين " منور ص111 ، **الذي**"دخل أجيج الثورة محاولا البحث عن أسلحة أكثر فعالية وأساليب أكثر بساطة لإيصالها إلى الجمهور ، مساهمة منه في تحريك الفعل الثوري" **111،** وروايته نجمة إعلان جميل لميلاد الرواية الجزائرية الجديدة. وإن هذه النظرة التحولية الجديدة التي عرفها المشهد السياسي الوطني رافقه تغير آخر في مجال الوعي الثقافي والإبداعي وأعطى دفعا قويا للحركة

الفنية والأدبية في الجزائر" ونستعرض هنا اعتراف كاتب ياسين بهذا التاثير" قبل سنة 1945 لم أكن أراعي مايجري حولي...لكني مازلت أذكر تلك المظاهرة العارمة التي كانت مواكبها تجوب الشوارع...انضم إليها رفاقي فأحببت أن أكون معهم... لم أفهم أبدا معنى المظاهرة...لقد سقط عشرات الآلاف من الضحايا في سطيف وقالمة لقد أودعوني السجن أما أمي فقد جنت...حين خرجت من السجن أصبحت قريبا من الشعب وتعرفت على الحقيقة عبر هؤلاء الناس الذين لم أكن أنتبه إليهم من قبل...لقد مورس علينا نفس التعذيب وتلقينا نفس الصدمات...وقررت أن اعمل شيئا ما بدل أن اعمل كل شيء...لقد امتلات في السجن بالشعر..وانتابتني إشراقاته الاولى هناك...كانت تلك اللحظات أعظم أيام العمر ، لأنني اكتشفت شيئين غاليين: الشعر والثورة"112 ، وإن هذه الشهادة

–109-أحمد منور، المرجع السابق،ص78

110- واسيني لعرج،مرجع سابق،ص74

111- المرجع نفسه ،ص76

112- أرنولد جاكلين:الأدب المغربي باللغة الفرنسية ،نقلا عن إدريس بودية :الرؤية والبنية.ص1

التي يقدمها كاتب ياسين تنطبق على أغلب الكتاب والروائيين الجزائريين الذين مارسوا الكتابة باللغة الفرنسية فهذا الإبداع مدين إلى حد بعيد في نضجه وصلابة موقفه وحسه الوطني إلى الظروف السياسية الصعبة التي سادت البلاد إبان أحداث 8ماي 1945 التي فضحت سياسة البطش والذبح الجماعي التي انتهجتها السلطات الاستعمارية ، فانطلقت الأقلام بعدئذ تعبر عن سخطها وتنادي باسترجاع الشخصية الوطنية المصادرة... إن هذه الأحداث المؤلمة قد تمخض عنها الميلاد الفعلي للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في أرقى سماتها وأنواعها الفنية المتميزة وهذا يدل على أن الأديب الحقيقي يمتلك وعيا سياسيا وإنسانيا عاليا"113

احتلت رواية'ابن الفقير' لمولود فرعون الريادة في الرواية بالفرنسية " وعلى الرغم من اتساع استعمال اللغة الفرنسية ،فإن الدارسين يتفقون على أن أول رواية حقيقية في شكلها ومعاييرها الفنية قد ظهرت عام 1950 مع(ابن الفقير) لمولود فرعون "114، وتعد رواية 'الدار الكبيرة' لمحمد ديب صاحبة الريادة الفنية الناضجة للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وتتحدث عن " النضال السياسي في الجزائر وعن المناضلين الذين كانوا يعيشون في الخفاء بسبب ملاحقة البوليس الاستعماري لهم ،وتطرح تساؤلات محدد وصريحة عن مفهوم الوطن والهوية الوطنية"115.و " استطاع محمد ديب أن يسير بالرواية في اتجاهات أكثر واقعية وأكثر تقدمية ن متجاوزا بذلك الطروحات الإصلاحية التي سيطرت على الإبداعات المكتوبة باللغة العربية" 116.

أما الروائي كاتب ياسين فقد"دخل أجيج الثورة محاولا البحث عن أسلحة أكثر فعالية وأساليب أكثر بساطة لإيصالها إلى الجمهور ، مساهمة منه في تحريك الفعل الثوري"117 ، وروايته نجمة إعلان جميل لميلاد الرواية الجزائرية الجديدة.

الرواية بالفرنسية بين 1958-1962 اتشحت بحس المقاومة والثورية والتصدي ، وكانت لها أبعاد جديدة بعد الاستقلال ومنها:رواية(أطفال العالم الجديد) لآسيا جبار 1962،(أصابع النهار الخمسة) لحسين زاهر 1967،(أسلاك الحياة الشائكة) محمد ديب،(التطليق) لرشيد بوجدرة. وفي الثمانينات (طومبيزا1982)

و(النهر المحمول1984)و(القبيلة1989) لرشيد ميهوبي، وإن كتابات هؤلاء" لم تكن مجرد سلاح في المعركة ولكنها كانت أيضا تمتلك منظورها الفني وجدليتها الجديدة ورؤيتها لحركة المجتمع والتاريخ ولهذا أعطت لأصحابها المكانة اللائقة واستحوذت على اهتمام النقاد والدارسين،كما يرى إدريس بودية.

113- إدريس بودية،مرجع سابق،ص20

114-المرجع نفسه والصفحة نفسها

115-أحمد منور،مرجع سابق،ص108

116-واسيني لعرج،مرجع سابق76

117-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وتتصف روايات هذا الجيل بأنها ذات " عمق وأصالة ومضامين جديدة خاصة وان معظمها دار حول الثورة وحول الشعب الجزائري ونضله ضد الاستعمار وعبرت عن ذلك بجرأة وقدرة وفهم عميق لمصالح الشعب الجزائري وأشواقه "118" حيث الإنتاج الروائي يرتبط أساسا بالتطور والتراكم المعرفي لان مادته المجتمع والواقع الداخلي المكتنز بالإيحاء والتشكيل وليس الواقع السطحي الخارجي المرتبط بالمرئيات المباشرة"119

وتنتمي معظم الأعمال الروائية التي ظهرت بعد الاستقلال وحتى نهاية سنوات الستينات تقريبا إلى هذا الاتجاه الذي وصفناه بالاتجاه الملتزم والمنحاز إلى الثورة وقد اتخذت لها كإطار عام أحداث ووقائع الثورة المسلحة من تصوير لعمليات المقاومة الفدائية في المدن مثل ما نجد في رواية'أطفال العالم الجديد'1962 لآسيا جبار ، وضرب القرى والمداشر بالطائرات وهدم المنازل على رؤوس سكانها مثل ماهو الحال في رواية 'الأفيون والعصا1965' لمولود معمري،ووصف الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون وتنظيم عمليات الهروب منها كما نجد في روايتي'أصابع النهار الخمسة'1967 لحسين بوزاهر ،و'أسلاك الحياة الشائكة 1969' لصالح فلاح ، ويمكن وصف هذه الأعمال بأنها كانت تصور كلها بطش الاستعمار وبشاعة أعماله من جهة ،وتشيد من جهة أخرى بكفاح الشعب وتتغنى بأمجاده ومآثره القديمة والحديثة وتعمق الإحساس بالوعي الوطني ووحدة الأم" 120

وبدا يظهر بعد منتصف الستينات ضمن أدب الجزائريين المكتوب باللغة الفرنسية توجه جديد لاسيما في الرواية غلبت عليه اللغة السياسية الانتقادية ولذلك سماه أحد الباحثين بأدب النزعة الاحتجاجية الاجتماعية والسياسية ونشر معظم هذا النوع الاحتجاجي في فرنسا نذكر منه على الخصوص أعمال محمد ديب الروائية التي ظهرت في الفترة مابين1968و1973:'رقصة الملك 1968،و'إله أرض البربر1970'و'معلّم الصيد 1973،ورواية مراد بوربون'المؤذن1968،و'التطليق1969'و'ضربة شمس1972'لرشيد بوجدرة،و'موت صالح باي1980'لنبيل فارس،فكل هذه الأعمال الروائية يجمعها قاسم مشترك واحد يتمثل في النقد الشديد اللهجة للأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر"**121**

من أهم السمات التي نتحسسها في رواية السبعينات المكتوبة باللغة الفرنسية ، مظاهر هذاالتوجه تعددت وتنوعت ولم تقف عند حدود المعارضة السياسية البحتة أو نقد الأوضاع الاجتماعية والفساد الإداري فمنذ السبعينات طرحت مسائل أخرى لعل أهمها مسألة الهوية الوطنية والهوية الأمازيغية

بالتحديد التي عبرت عنها بشكل مباشر بحوث مولود معمري اللغوية والانثروبولوجية على الخصوص وبشكل غير مباشر روايته الأخيرة'العبور1982' كما طرحها غيره في أعمال أدبية مختلفة تتراوح بين التصريح

-118-عبد الله الركيبي:مرجع سابق،ص144

119-إدريس بوذيبة،مرجع سابق،ص18

120-أحمد منور،مرجع سابق،ص112-113

121- المرجع نفسه،ص113-114

والتلميح وبين المباشرة والرمزية مثل مانجد في مسرح كاتب ياسين عامة الذي يتميز باسلوب افتزازي...ومثل أعمال نبيل فارس الروائية مثل 'ذاكرة الغائب'1974،ومث' المنفى والحيرة'1976 التي تطرح العديد من الأسئلة حول الهوية الجزائرية المستلبة والثقافة الأصيلة المغيبة وكذا الأمر في بعض أعمال الطاهر جاووت كروايته'منزوع الملكية'"122

أما روايات نهاية السبعينات وبداية الثمانينات فهي روايات مهادنة مثل روايات: 'المغارة المتفجرة 1979 لأمنة مشاكرة، والتمزق'1980 و'الامتحان الأخير'1983 لمحمد شايب ،و'عصابة الأطلس'1983 و'أسود الليل'1985 و'الأطلس يحترق'1987 لعز الدين بونمور ، وفي مطلع التسعينيات ومع صعود المد الإسلامي ودخوله بقوة معترك السياسة في هذه الفترة أخذت تظهر أعمال روائية في هذا الأدب تنتقد هذا المد نقدا لاذعا وتصوره في شكل خطر سياسي واجتماعي داهم يهدد الديمقراطية والحريات العامة ومن ثمة تدعو بشكل صريح ومباشر إلى التصدي له ومحاربته بكل الوسائل وتعد أعمال رشيد ميموني القصصية والروائية الأخيرة ابرز النماذج في هذا الصدد مثل بعض نماذجه في مجموعته القصصية'حزام الغولة'1990 وروايته'اللعنة'1993،التي تتخذ من اعتصام الإسلاميين في ساحة أول ما في جوان 1991 واستيلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى بعد صدامهم مع قوات الأمن محورا لها" 123

لا يمكننا أثناء الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ان نغفل عن أسماء كتاب جزائريين بالمهجر ، وهم"كتاب جدد من أصل جزائري برزوا في فرنسا خلال العقدين الأخيرين وهم في معظمهم أبناء العمال المهاجرين ممن أصبحوا يعرفون باسم'البور' أو'الجيل الثاني' من المهاجرين الحزائريين ،أمثال زوليخا بوقرط وعلي غالم ومهدي شارف وأ.زيتوني وجانيت لشمط وآكلي تاجر ،ومحمد كنزي، وناصر كتان وغيرهم " 124

مراحل مر بها النثر الجزائري باللغة الفرنسية:

يمكن أن نميز فيها أربع مراحل رئيسية،مرحلة مابين الحربين وهي مرحلة البداية التي كانت متعثرة فنيا ومتذبذبة سياسيا،والمرحلة التي تمتد مابين نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام ثورة التحرير في فاتح نوفمبر 1954 وهي مرحلة التململ والقلق وترقب ماسيحدث...ومرحلة الثورة التي لم يكن فيها امام

الكتاب أي مجال للتردد او الحياد بمواقفهم السياسية وبأعمالهم الفنية، ومرحلة مابعد الاستقلال التي عرفت تنوعا كبيرا في المواقف والرؤى حول مختلف القضايا الاجتماعية والتوجهات السياسية والفكرية وحول

122- أحمد منور:مرجع سابق،ص116

123- المرجع نفسه،ص118

124- المرجع نفسه،الصفحة نفسه

القضايا الفنية أيضا" 125 ونلاحظ ان الإنتاج الإجمالي قد تضاعف باكثر من مرتين في الإنتاج الروائي في حين تضاعف الإنتاج الشعري باكثر من مرتين ونصف المرة ن والمسرحيات بأكثر من مرة ونصف ،والقصص بست مرات، ويمكننا ان نختتم حديثنا عن النثر الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بماقاله إدريس بودیبة في معرض قوله بان كتابات هؤلاء" لم تكن مجرد سلاح في المعركة ولكنها كانت ايضا تمتلك منظورها الفني وجدليتها الجديدة ورؤيتها لحركة المجتمع والتاريخ ولهذا أعطت لأصحابها المكانة اللائقة واستحوذت على اهتمام النقاد والدارسين" 126 كانت اعمالهم ذات " عمق وأصالة ومضامين جديدة خاصة وان معظمها دار حول الثورة وحول الشعب الجزائري ونضله ضد الاستعمار وعبرت عن ذلك بجرأة وقدرة وفهم عميق لمصالح الشعب الجزائري وأشواقه "127

أما عن القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية فلا "يبدو انه كان هناك إنتاج ملحوظ من القصة القصيرة الفرنسية المكتوبة من قبل الجزائريين قبل الحرب العالمية الثانية بل حتى بعد ذلك الحين ولغاية استقلال الجزائر لم تتجاوز عدد القصص القصيرة الستين قصة ومنذئذ شهدت القصة فيضا مندفعا حيث يقدر'ديجو' عددها بحوالي مئة وخمس قصة ولايوجد سبب واضح يفسر هذاالظهور المتأخر للقصة القصيرة الفرنسية لكن هناك عدد افتراضات يمكن أن تساق لتفسر ذلك فعندما بدا الجزائريون نشاطاتهم الأدبية باللغة الفرنسية كان اهتمامهم منصبا بصورة رئيسة على الدعوة لقضيتهم الوطنية ومعالجتها وعلى ظروف وأوضاع شعبهم وكان النوع الأدبي الأكثر ملاءمة لهذا الغرض هو الرواية إضافة إلى ذلك ونظرا لان الجزائريين كان لديهم العديد من الشكاوى التي تراكمت خلال عشرات السنين من الصمت فلم تكن القصة القصيرة مناسبة لغرضهم سواء من الناحية الفنية او العملية...والاحتمال الثاني للظهور المتأخر للقصة القصيرة الفرنسية هو عدم توفر صحافة وطنية باللغة الفرنسية يمكن نشر القصص فيها وان الصحف الفرنسية الوطنية القليلة ظهرت في فترة مابين الحربين العالميتين تتسم باتجاهات سياسية""128 و اتجهت الاهتمامات الأولى لكتابة القصة القصيرة نحو مواضيع عامة مع تفضيل للحكاية لاسيما الحكايات القبائلية...وقد أخذت تظهر في أواخر الخمسينات بعض القصص القصيرة التي تعالج الوضع السياسي في الجزائر ففي عام1957 نشر 'جان سيناك' قصة الوطن...وقبل ذلك بسنتين نشر ديب مجموعته القصصية القصيرة'في المقهى'ومن جهة أخرى تناول معمري في قضية'الحمار الوحشي' موضوعا آخر هو موضوع صدام الحضارات"129 ، وكان ديب أول كاتب للقصة القصيرة الذي يتناول الوضع السياسي في الجزائر ففي مجموعته في المقهى يصف الوعي الوطني للجزائريين ذلك لأن الحرب كانت في بدايتها عندما نشر هذه

125-أحمد منور:مرجع سابق،ص116

126-إدريس بودبية:مرجع سابق، ص20

127- عبد الله الركيبي: مرجع سابق، ص199

128- عايدة أديب بامية:مرجع سابق، ص376

129- المرجع نفسه،ص278

المجموعة فهو يسوق سببين رئيسيين للكفاح المسلح في قصة أراضي محرمة هماك الانتخابات المزيفة والإذلال والاضطهاد اللذان عانى منهما الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي" 130 ، واتخذت القصة القصيرة مع الاستقلال طابعا سياسيا عميقا ودارت احداثها كلية حول حرب التحرير وقد غطت مواضيعها ثلاثة جوانب من الحرب: القتال في الجبال،المقاومة المدنية،وموقف المواطنين العاديين"131 نكما في قصص ديب وفي قصة'عودة مولود' خصوصا وقصة 'الطلسم'.

130-عايدة أديب بامية: مرجع سابق،ص380

131-المرجع نفسه،ص382

قائمة المصادر والمراجع :

1-أبو القاسم سعد الله.محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث

2- أبو القاسم سعد الله ،تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر،1982

3- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي.ج3

4- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط5 ، 2007

5- أحمد شرفي الرفاعي :الشعر الوطني الجزائري ،دار الهدى عين مليلة،الجزائر،2010

6- أحمد دوغان:في الأدب الجزائري الحديث،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1996

7- أحمد شرفي الرفاعي،الشعر الوطني الجزائري،دار الهدى عين مليلة،الجزائر،2010

8- أحمد منور:روايات الجزائريين باللغة الفرنسية، منشورات الملتقى الدولي الثامن (عبد الحميد بن هدوقة). دار الأمل للطباعة والنشر.الجزائر.

9- إدريس بودیبة:البنية والرؤية في روايات الطاهر وطار،منشورات بونة للبحوث والدراسات،الجزائر 2001.

10- الطاهر أحمد مكي : القصة القصيرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 ، 1992

11- حاج محجوب عرايبي : دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، منشورات إبداع ، ط1 ، 1993

12- خليفة حسين مصطفى :الشخصية الروائية،بيروت لبنان ،ط،2006

13- خليل إبراهيم أبو ذياب : دراسات في فن القص ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية

14- شريبط أحمد شريبط:مباحث في الأدب الجزائري الحديث،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،2001

15- عايدة أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ، ترجمة محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1982

16- عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1994

17- عبد السلام الشاذلي.شخصية المثقف في الرواية العربية.دار النهضة.بيروت.ط2 ،1982

18- عبد الله ركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ط 3 ، 1977

19- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983

20- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،

21- عبد المنعم خفاجي:دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ،دار الجيل بيروت ط1.1982.

22- عبد الملك مرتاض: أثر الصحافة العربية الجزائرية في النهضة الوطنية،مجلة الثقافة.عدد28 سبتمبر 1975

23- عمر الدسوقي :في الأدب الحديث.ج2

24- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعي ، الجزائر،1993

25- عمربن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعي ، الجزائر،1993

26- عمر بن قينة ،في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1995

27- عمربن قينة ، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر

28- محمد الصالح الجابري :الأدب الجزائري المعاصر ،دار الجيل ،بيروت لبنان ،ط1 ،2005

29- محمد الصالح خرفي : بين ضفتين ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2006

30- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2006.

31- محمد بوكروحك ملامح عن المسرح الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1982

32- محمد بن سمينة:في الأدب الجزائري الحديث،مطبعة الكاهنة.الجزائر 2003،

33- محمد مصايف :النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1983

34- مصطفى عبد الشافعي : ملامح من أدبهم القصصي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية 1998

35- نور سلمان،الأدب الجزائري، في رحاب الرفض والتحرر،دار الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر 2009.

36- واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986

الصحف والمجلات :

37- جريدة الشهاب ، ج1 ، م11أفريل 1935

38- جريدة النور 27، أيلول 1932

39- مجلة الأصالة،نوفمبر-ديسمبر1972 الجزائر

40- مجلة الثقافة ، عدد 18 ، ديسمبر 2008

41- مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر، العدد الأول،.الجزائر، 1964

42- محاضرات الملتقى الأول للأدب و الفكر سيدي بلعباس، أيام 25/24/23 ديسمبر 2008،

الفهرس:

مقدمة.....أ-ب.

-المحاضرة الأولى:الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشرة.....01

المحاضرة الثانية: عوامل النهضة الأدبية في مطلع القرن العشرين.....17

- المحاضرة الثالثة :دور الصحافة في النهضة الأدبية(الشعرية).....29

- المحاضرة الرابعة :مدخل إلى اتجاهات الشعر الجزائري.....35

- المحاضرة الخامسة :الشعر الإصلاحي الديني الجزائري.....36
- المحاضرة السادسة : الشعر الثوري.....49
- المحاضرة السابعة :الشعر التجديدي.....57
- المحاضرة الثامنة :الفنون النثرية الجزائرية الحديثة.....63
- المحاضرة التاسعة :فن الرحلة/فن الخطابة/فن المقالة/فن الرسالة.....66
المحاضرة العاشرة :فن القصـــــــــــــــــــــــة.....74
- المحاضرة الحادية عشرة : فن المسرحيـــــــــــــــــــــة.....78
- المحاضرة الثانية عشرة :النص النثري الجزائري والاتجاه الوطني 86
- المحاضرة الثالثة عشرة :إرهاصات الرواية الجزائرية.....97
- المحاضرة الرابعة عشرة :النص النثري الجزائري المكتوب بالفرنسية.....103
قائمة المصادر والمراجع.....110
الفهرس.....113